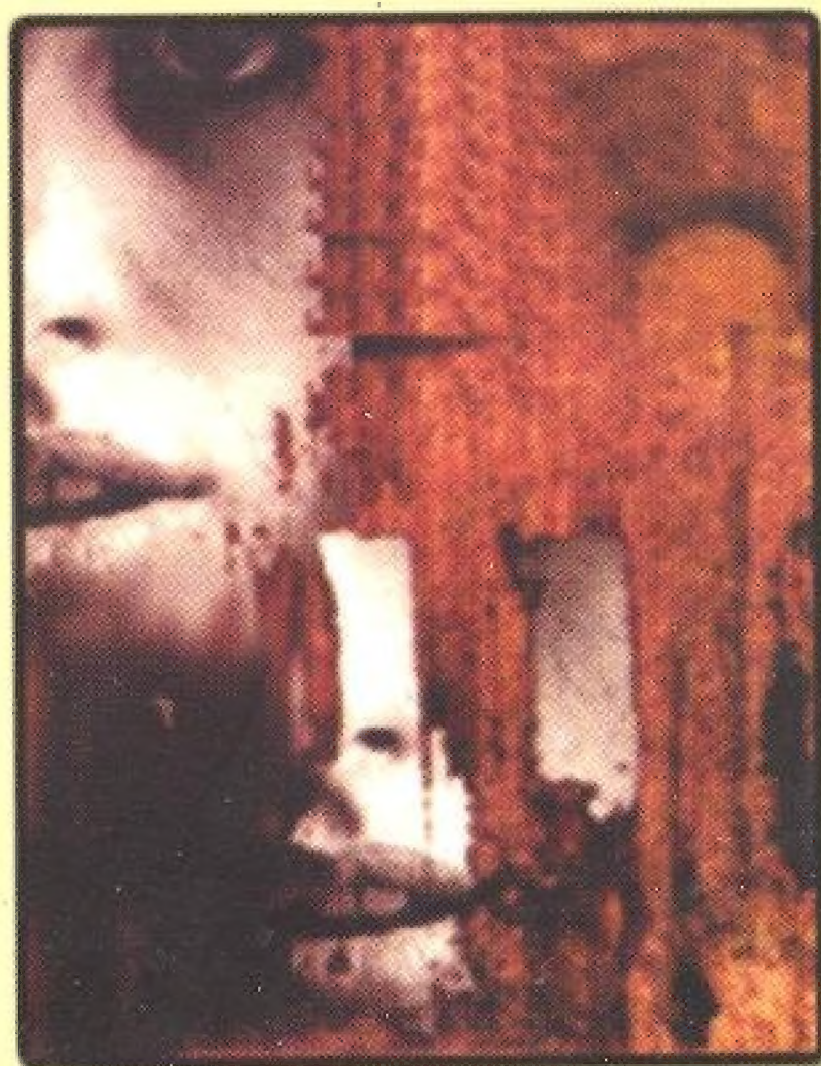


د. عيسى برهومة

# اللغة والجنس

حضريات لغوية في الذكورة والأنوثة



# اللغة والجنس

حريات لغوية في الذكورة والأنوثة

د. عيسى برهومة



2002

رقم التصنيف: 410

المؤلف ومن هو في حكمه: الدكتور عيسى برهومة

عنوان الكتاب: اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

الموضوع الرئيسي: 1- اللغة العربية

2- قواعد اللغة

رقم الإيداع: 2002/8/2057

بيانات النشر: عمان: دار الشروق

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية.

(برمك) ISBN 9957-00-209-0

• اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

• الدكتور عيسى برهومة

• الطبعة العربية الأولى: الإصدار الأول، 2002.

• جميع الحقوق محفوظة.



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/4618191/4624321 فاكس: 4610065

ص.ب: 926463 للرمز البريدي: 11110 عمان-الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة- شارع المنارة- مركز عقل تجاري هاتف 2961614/02

نابلس: جامعة النجاح- هاتف 09/2398862

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف : 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ لوحة الغلاف للفنان: زهير شعوني.

■ التصميم والإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام:

دائرة الإنتاج/ دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065/ ص.ب: 926463 عمان (11110) الأردن

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

## المحتويات

-	تصدير	7
-	المقدمة	9
-	الباب الأول: أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي	13
-	اللغة في المجتمع	15
-	تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي	30
-	الباب الثاني: نظرة اللغة إلى الجنس	45
-	تصنيف الجنس في اللغة	47
-	الثقافة، اللغة، التحيز	71
-	النحو والتحيز	93
-	الدلالة والتحيز	102
-	التحيز في المخيال الشعبي	106
-	الباب الثالث: الخصائص اللغوية للجنسين	113
-	الخصائص الصوتية والنطقية	121
-	الخصائص النحوية والصرفية	126
-	الخصائص الدلالية	130
-	الخصائص الأسلوبية	133
-	السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين	141
-	الخاتمة	149
-	الملاحق	153
-	المصادر والمراجع	179



## تصدير

بقلم الدكتور نهاد موسى  
أستاذ العربية في الجامعة الأردنية

اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصّفه؟

اللغة مرآة، والمجتمع كيان إنساني متقل بالإرث الثقافي وصيرورة البنى الفوقية كالاقتصاد والتشريع.

قد تبدو اللغة محايدة إذ تجعل (الجئن) مذكراً وتجعل (الشجاعة) مؤنثاً، كما تجعل (السفاهة) مؤنثاً و (الحلم) مذكراً.

واللغة نظام من العلاقات يقصد إلى الفرق والإبانة كما في تمييز (الظريف) عن (الظريفة) و (الكريم) عن (الكريمة) بالتاء، ولكن المجتمع قد يجعل (معاوية) المذكر على لفظ المؤنث، ويجعل (سعاد) المؤنث حقيقة على غير صيغة المؤنث فتَمَثِّل اللغة لذلك. فإذا اقتصَرَ اللفظ بالمؤنث جاء دون علامة التأنيث كما في (كاعب) و(ناهد) لأن مقتضى اللغة الإبانة في الدلالة على المقاصد.

وتقول اللغة كما يرى سيبويه: جاء الرجال والنساء قبل، فلا يجعل للرجال منزلة يكونون بها أولى من النساء، ولكن المجتمع يرى في الترتيب أفضلية المقدم في اللفظ وفقاً لعرف خارج عن نظام اللغة.

وإذا خاطبت اللغة جمعاً حاشداً من النساء فيه رجل واحد بضمير جماعة المذكر فاستعلنَ فيها تحيز واضح أمكنتنا اللغة نفسها -إن شئنا- أن نعتبر عن الزوجين الذكر والأنثى بمثل قول امرئ القيس فنقول: قفا نَبَك! فنلود

بخطاب المثني نوجه توجيهاً يرفع التحيز رعاية لمشاعر الأغلبية في مثل هذا الموقف.

وإذا رسم المجتمع للمذكر دوراً مركزياً ليقرأ ويسافر ويعمل وجعل المؤنث على الهامش (تطبخ) فإن اللغة لن تأبى علينا أن نوزع الأدوار بالحق والإنصاف فنقول (نقرأ) كما نقول (يقرأ) ونقول (تعمل) كما نقول (يعمل).  
اللغة مؤنثة، والثقافة مؤنثة، والمجتمع مذكر، فأيهما محايد؟ وأيها متحيز؟  
وهل من سبيل إلى التدخل في اللغة لنفي التحيز الخارج عن مقتضى الإبانة؟  
وهل يكون التدخل في النظام اللغوي وحده تدبيراً كافياً لنفي التحيز الثقافي أو الاجتماعي؟

في هذه القضية الشائكة حقاً يأتي هذا الكتاب رحلة شائقة في عوالم الاجتماع الإنساني عبر الزمان والمكان يتحرى صورة المرأة في تلك العوالم ولغاتها وثقافتها ويقف باعتماد خاص إلى صورة المرأة في العربية وثقافتها.  
إن هذا كتاب رائد في حقل يتنمي ما يزال في الدراسات العربية بكرة، وهو يجري، في صورة التعبير، ببيان يليق به من الألق والأناقة، وينطلق، في مضمونه، بجرأة حذرة متوازنة الخطى على هذا الدرب السديمي الذي تتدافع فيه الرؤى وتتقاطع المثني.

## مقدمة

في البدء كانت الكلمة، وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدء والخاتمة، ظل الإنسان يثرق إلى وسيلة توفر له التخاطب والتواصل لتحقيق ماهية الاجتماع البشري، فكانت اللغة ضالته، فشغل بها وأودعها عنايته ووكدته، وعدّ معرفة كنهها جزءاً من سعيه لمعرفة ما التبس عليه من أسرار الوجود، فغدت موضوعاً أسيلاً من موضوعات الفلسفة الإنسانية.

لم تكن اللغة منذ تخلقها من صنيع فرد، إنما مواضعة جماعية يتواطأ على تمثيلها الأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مراس الكلام في الجمهور، تتبلر في تلافيف المجتمع. وبالتالي تغدو المعطيات الاجتماعية الخلفية التي يتعين الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتمييز الفئات الاجتماعية التي توظف السلوك اللغوي في مناسبات الحياة المتراجحة. إذ إن هذا السلوك مطية الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة.

والفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يحدد الاختيارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإن تلك الشروط الاجتماعية والثقافية تحدد معايير السلوك اللغوي ونماذج الاجتماعية المقبولة.

ترجع صلتني بمسألة اللغة والجنس إلى بضعة سنوات خلت، فقد استوقفتني الأسفار التي انبرت لبحث التكثير والتأنيث، إذ حظيت هذه المسألة بما لم تحظ به كثير من مسائل اللغة تقريراً وتصنيفاً. ولعل هذه الوقفة في درس المسألة قديماً وحديثاً سكّبت في النفس رغبة للوقوف إلى أمارات المسألة.

ظلت مسألة اللغة والجنس تأخذ بنيات فكري، فرغبت في أن أواصل بحث المسألة من وجهة اجتماعية، ولا سيما بعد أن اطلعت على مصنفات في



علم اللغة الاجتماعي، فاستقرّ في النفس هاجس أن ألجّ إلى دراسة "اللغة والجنس في السياق الاجتماعي"، ومما قوى العزم في أن مسألة اللغة والجنس تستعِلّ في فضاء التثاقف والبحث في الفكر النقدي المعاصر، بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، فراحت هذه الحركات ومناصروها من منظمات حقوق الإنسان تدعو إلى ترسيم علاقات عادلة بين الأعراق والفئات المستثناة من القوة Powerless كالعبيد، والنساء، والأطفال. واستشعرت الحركات النسوية ومنظمات حقوق الإنسان أن ثمة تحققات لغوية تنطوي على قَدْر من التحيز للذكور، واختزال للحضور الأنثوي، فانبهرت لتسليط الضوء على أشكال التحيز، وسبل تعديله. وتطلّعت إلى لغة محايدة تمثل الجنسين بنصفه.

إنّ هذا الفيض من العناية بموضوع اللغة والجنس من أنظار معرفية متنوعة، دفعت بي إلى استقراء المسألة في العربية، لأنّ جلّ ما كتب في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، أو طُبّق على لغات أجنبية، ولم تحظ العربية بدراسة مستقلة للمسألة من وجهة اجتماعية فيما انتهت إليه من بحث واستطلاع.

صدرت في دراستي هذه عن حُرْمَة من المعطيات، نحو: الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين، والتحقّق من التحيز اللغوي في العربية، ودراسة الخصائص اللغوية بين الجنسين، والعوامل التي تسهم في تشكيلها.

ورمت من هذه الدراسة استشفاف العلاقة بين اللغة والمجتمع، واختبار المقولات التي تعلّورت موضوع اللغة والجنس، وتوظيف معطياتها في دراسة العربية. أنست في هذا البحث منهجاً لغوياً اجتماعياً؛ لاستجلاء السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة، وتلمّس العلاقة المستكنة في اللغة والتنظيم الاجتماعي.

وقد أُنْخَصَّتْ وَسُيِّحَ لِأَقِيمِ البَحْثِ عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ، فَأُفِدَتْ مِنْ مَعْطِيَّاتِ هَذَا الْعِلْمِ الْحَدِيثِ بِلُطْفِ الْعَنَافَةِ، وَسُخِّرَتْ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْظَارِ لِاِكْتِنَاءِ مُشْكَلَةِ الْبَحْثِ مُقَارِبَةً وَتَقْرِيرًا.

وَلَقَدْ حَرَّصْتُ عَلَى أَنْ أُلْمَعَ إِلَى الْبَحْثِ وَالدراسات الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى؛ لِظَنِّي أَنَّ هَذِهِ الْإِشْرَاقَاتُ تُقْضِي إِلَى تَرَاخُبِ الرُّؤْيِ، عِلَاوَةً عَلَى أَنَّهَا تُغْنِي الدَّرْسَ اللُّغَوِيَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ؛ لِنُزْرَةِ التَّصَانِيفِ الَّتِي تَوَارَدَتْ عَلَى بَحْثِ هَذَا الْمُسْكَلِ.

وَيُسْتَشْعَرُ مِمَّا تَمَّ عَرْضُهُ مِنْ دَرِاسَاتٍ فِي مَسْأَلَةِ "اللُّغَةِ وَالْجِنْسِ"، أَنَّ هَذَا الْمُسْكَلَ يَعْتَوِرُهُ أَضْرَبُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفَنُونِ، كُلُّ يَأْخُذُ مِنْهُ بِطَرَفٍ فِي تَنَاوُلِهِ وَمُدَاوَلَتِهِ. وَقَدْ ارْتَأَيْتُ أَنْ أُنْتَحِيَ وَجْهَةً تَقْطَعُ مَعَ هَذِهِ الدَّرِاسَاتِ فِي بَعْضِ مَسَالِكِهَا، وَتَنْهَجُ شِرْعَةً مُبَايِنَةً فِي دُرُوبِ أُخْرَى.

وَلِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي أَحَاوَرَهَا قَضِيَّةٌ جَوْهَرِيَّةٌ تَمْتَدُّ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ؛ تَعَيَّنَ هَذَا الْعَرْضُ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْفَوَاصِلَ الزَّمَانِيَّةَ وَالْمَكَانِيَّةَ، لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي نَعْرِضُ لَهَا ضَارِبَةً فِي أَطْنَابِ الْمَاضِي، وَمَمْتَدَّةٌ فِي أَفَاقِ الْحَاضِرِ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَقْضَى بِي إِلَى الْمَرَاوَحَةِ بَيْنَ الْمُتَقَادِمِ وَالْحَادِثِ عَرْضًا، وَتَحْلِيلًا، وَمُقَارِبَةً. فَحَرَّصْتُ فِي هَذِهِ الدَّرِاسَةِ عَلَى تَنْوُّعِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الَّتِي تَمُدُّ خِيُوطَهَا إِلَى زُمَرَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَتُسْتَدْعِي أَنْظَارَ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فِي بَحْثِ الْمَسْأَلَةِ. تَوَزَّعَتْ الدَّرِاسَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ:

- حَاوَلْتُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ أَسْتَحْلِيَ مَكَانَةَ اللُّغَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَأَنْ أَتَلَمَسَ مُسَوِّغًا مِنْهَجِيًّا لِلْعِلَاقَةِ الْمُتَحَصِّلَةِ بَيْنَ الْعَامِلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسُّلُوكِ اللُّغَوِيِّ.
- وَفَرَّغْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى دَرِاسَةِ الْبِنَى الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَأَهْمِيَّتِهَا فِي تَشْكِيلِ نَوَاتِنَاءِ وَعَرْضَتْ لِأَنْظَارِ الْمُشْتَغَلِينَ فِي تَوْصِيفِ اللُّغَةِ وَالْمَجْتَمَعِ.

- وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألمحتُ إلى التجليات الاجتماعية في السلوك اللغوي للجنسين؛ لاستتار التفاعل اللغوي مع العوامل الخارجية الراشحة في الاستعمال.

■ **في الباب الثاني** عرضتُ لنظرة اللغة إلى الجنس، فعابنتُ المسألة في النظام اللغوي، لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية، وهل كان هذا التصنيف مُتسقاً والجنس الطبيعي؟ وتتبعُ موقف الباحثين في هذه المسألة التي أشكّلت عليهم قديماً وحديثاً.

ولم يكن بدّ من أن أتوقف عند مسألة الثقافة واللغة والتحيز؛ إذ إنّ الثقافة تُعدُّ المرأة الصانقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من قيم، ونُظم، وعادات، وتقاليد، واتجاهات.

ويؤثّر التطور الثقافي والحضاري لأيّ أمة تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، إذ تنتحي بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً أو كثيراً عن طفولتها الأولى.

وتوجّهتُ لاستشفاف الصلة النازمة بين الثقافة واللغة. وارتباط ذلك بالتحيز عبّرَ تحقّقات اللغة، كالنحو، والدلالة، والمتعين الشفاهي.

■ ثم تناولتُ في **الباب الثالث** الخصائص اللغوية للجنسين، فعرضتُ لمستويات اللغة؛ لاستقراء الخصائص اللغوية، وقد صنرتُ في استصفاء هذه الخصائص عن الفرضيات التي أودعها الدارسون والدراسات في موضوع البحث.

وأقفلتُ البحث بزُمرّة من الأنظار مستصفاة.

وشقّعتُ البحث بلحق انطوى على استقراء الصفات المحدودة والمذمومة للجنسين، في إضمامة من معجّمات المعاني.

وآمل من بعد ذلك أن يكون البحث مساهمة في درس اللغوي الاجتماعي، ودافعاً لدراسات تتوسّل اللغة لاكتناء السياق الاجتماعي والثقافي.

## **الباب الأول**

# **أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي**

- الفصل الأول : اللغة في المجتمع.

- الفصل الثاني : تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين.



## اللغة في المجتمع:

الإنسان مدني بالطبع، يرتبط بالجماعة ليقيم أودَ حياته، ويمنح عيشه السيورة والبقاء، لذا تَطَّلِع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين، وتفاعل مع محيطه لتحقيق غاية الاجتماع البشري، فليس بمكنة الفرد وحده أن يحقق مفهوم المجتمع بالمتعين التواصل والتعاوني.

فما يَرَّح الأفراد يفكرون في وسيلة لتحقيق التواصل بينهم، وبذلوا الوكِّد لاجتراح أسلوب يتخاطبون عبره، فكانت اللغة ضالته في هذا البحث الشاق.

لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق الاجتماع الإنساني؛ لأن الفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته:

"إنَّ السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أنَّ الإنسان الواحد لما كان غير مكف بنفسه في حياته، ولا يَبلغ حاجاته في تنمية بقاء منته المعلومه وزمانه المقدر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقاءه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاء منه بالمعونة...<sup>1</sup>

فلغة أثرها في مناشط الحياة المتنوعة، وهي وليدة حاجات الفرد والجماعة، ولعل هذا ما دعا أصحاب نظرية (Yo-He-Ho) إلى تفسير نشأ اللغة بأنها: "أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس في أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون على أدائه، وأكدوا أنَّ اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ وهو منعزل عن غيره من البشر"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مسكويه: المراسل والشواهد، ص 6.

<sup>2</sup> إبراهيم أبيي: دلالة اللغة، ص 26.

ومن المتعارف عليه بين دارسي العلوم الاجتماعية أن كثيراً من الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية ثم لا تلبث أن تشيع بين عدد من الأفراد، ثم يتسع نطاقها فتتخذ صفة الجماعية.

فنحن لا نبتكر شيئاً - كما ذكر (بيار أشار) - "حين نعترف بأن النشاط الإنساني يتجلى في الإطار الاجتماعي"<sup>1</sup>.

لم تنشأ اللغة بتخطيط مفرد، وإنما بمواضعة اجتماعية تعم على الأفراد، فلا فكّك من إقصاء العامل الاجتماعي في إنتاج اللغة وفهم ماهيتها، فهي ربيعة المجتمع، وبين ظهرائيه تخلّقت كما قرّر فندريس:

"في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم. وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم.

فاللغة بمعناها الأوفى تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العزى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوتها إلى وجود احتشاد اجتماعي"<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من أن اللغة ظاهرة اجتماعية، إلا أن بعض اللغويين أنكر هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع، لذا ينبغي أن تُدرس اللغة في واقعها الذهني، ومن هؤلاء اللغويين هيرمان بول (Hermann Paul) الذي يرى "أن اللغة الجماعية ليست إلا خليطاً من الكلام الفردي الذي لا يؤخذ به. واللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد، وبالتالي ليست هناك فائدة من دراسة

<sup>1</sup> بيار أشار: سوسولوجيا اللغة، ص 13.

<sup>2</sup> فندريس: اللغة، ص 35.

التغير اللغوي اجتماعياً، لأن هذا التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختلاف الأفراد، ويخلص من ذلك أن الفرد يمكن أن يمثل الجماعة ...<sup>1</sup>. وينضم إلى مذهب (لا اجتماعية اللغة) نفر من اللغويين، نحو: سويت (Sweet) ومدرسة براغ، وترويتسكوي (Troubetzkoy)، ومارتينيه (Martinet)، وعالم اللغة الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي أقام نظريته في اللغة على المثير والاستجابة الكامنين في الفرد وليس في الجماعة اللغوية.

كما أن تشومسكي (Chomsky) أهمل العامل الاجتماعي في نظريته اللغوية (التفريعية - التحويلية) وافترض وجود سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع.

ولكن هذه الأنظار اللغوية لم تلقَ ارتياحاً لدى اللغويين الذين يؤكدون اجتماعية اللغة، ويرون أن تنحية الأثر الاجتماعي في دراسة اللغة بُعدٌ انحرافاً عن الدراسة العلمية للغة.

انتقد مييه (Meillet) مفاهيم دي سوسير اللغوية، ونعتها بأنها ناقصة ومجتزأة؛ لأنها لا ترى في اللغة إلا واقعاً ذهنياً غير متأثر بالعناصر الاجتماعية التي لا يمكن دراسة أي لغة بمعزل عنها ...<sup>2</sup>.

واعترض هدسون (Hudson) على المدرسة التفريعية - التحويلية؛ لرؤيتها المجردة للغة، ورأى أن "أي محاولة لتفسير الظواهر اللغوية المختلفة دون الرجوع إلى المجتمع - وذلك ما قامت به المدرسة التفريعية التحويلية بفروعها كافة- إنما هي محاولة عبثية تتطوي على مثالية متطرفة، ولن تؤدي

<sup>1</sup> طلال طلس: علم اللغة الاجتماعي كم الأسس، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع(7، 8)، ص 12.

<sup>2</sup> See: 'The Main Trends in modern linguistics English by Maurice Leroy (Translation. By G. price). p.p 93-99.



هذه المحاولة إلا إلى إجداب الدراسات اللغوية، فاللغة ملوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول<sup>1</sup>.

وتوجّه عالم اجتماع اللغة هايمز (Hymes) بالنقد إلى البحث اللغوي الحديث؛ لإهماله المعطيات الاجتماعية في اللغة، "ورمى علم اللغة بالتقصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجرداً، أو منفصلاً عن العناصر المؤثرة فيه، مع أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقة، وتأثيرها بمعطياته ومكوناته أمور لا جدال فيها"<sup>2</sup>.

ومن أنصار المدرسة الاجتماعية جاردنر (Gardener) الذي أكدّ العنصر الاجتماعي في اللغة "فمن العبث أن نقول: إنّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، إذ ما الداعي الذي يوجب على الناس التحول هنا وهناك معبرين عن أفكارهم؟ إنّ مجرد التفكير يكفي لقضاء حاجات الناس العقلية الصرّفة.

وإذا كان الغرض من استعمال اللغة إرضاء رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، فإنه في مقدرتهم استعمال جوارحهم وقواهم الجسميّة، وإذا كانت عواطفهم تستدعي التنفيس الصوتي فيمكنهم الصياح، أو الضحك، أو التأوه.

ولكن اللغة بتعاملها المتعمّد والمقصود مع الأشياء لا تُفسّر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أنّ النوع الإنساني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> هدمون : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عيلا، ص7.

<sup>2</sup> معطى لطفي : اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 45.

<sup>3</sup> كمال شر: علم اللغة الاجتماعي، ص (3).

إنَّ اللغة تتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عما يعتل في أقطار النفس من خطرات البال، لتشمل أيضاً استجابة المتلقين للغة، والظروف الزمانية والمكانية للحدث الكلامي.

إنها تمنح شعوراً بالانتماء إلى مجتمع المتحدثين بها، وتُعين الفرد على التوافق الاجتماعي والتكيف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسراً لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطورها. وقد أطلق الأنثروبولوجي (مالينوفسكي) على هذه الوظيفة "التواصل الودي بين الناس" *"Phatic Communion"*<sup>1</sup>.

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تُقرّر أنّ خروج أي فرد على أي نظام فيها يُعرّضه للجزاءات الاجتماعية، أو العقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه في التمرد عليه، فإنَّ اللغة هي أبرز هذه الظواهر الاجتماعية التي تنعكس عليها ردود الفعل الاجتماعية، فإذا حاول فرد التحليق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، فهو مُعرّض للانتقاد والسخرية.

"قاصد اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان، وترتبط وظيفة اللغة والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطاً وثيقاً بالبنى الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع من جهة أخرى ..."<sup>2</sup>.

يمتد النسيج اللغوي في الثقافة ومناشط الحياة للجماعات، فمن الصعب استجلاء ماهية السلوك إلا بالعود إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي.

<sup>1</sup> ينظر، عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 21.

<sup>2</sup> توماس لوكنان: علم اجتماع اللغة، ت. أبو بكر أحمد باقر، ص 11.

وينظر أيضاً، حوريت غارمادي: فلسفة الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، ص 28.

وكلما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره وأحاسيسه أيضاً. لذا يجب أن تُخرَس اللغة ونواميسها في إطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين تاريخ المجتمع؛ لأن اللغة - أي لغة - نَعْدُ اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجاً للتاريخ الاجتماعي.

ويرى (ستالين) أن اللغة: "إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خارج نطاق المجتمع، فلا نستطيع فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا تَوَجَّهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع أي بتاريخ الشعب الذي تَنَسَّب إليه اللغة؛ موضوع الدراسة الذي أبدعها، وتحيا على لسان أبنائه ..."<sup>1</sup>.

يتضمن المعنى الاجتماعي الثقافي Social - Cultural Meaning، أو ما يسمى بالمعنى السياقي Contextual Meaning محتويات المعنى للكلام أو التعبير، ويقصد به مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين، أو في محيط اجتماعي معين.

إن هذا المعنى يُقْتَبَس من الكلام المستعمل في الحياة اليومية الذي يُقَسَّر في مجتمع إنساني معين، كما أن هذا المعنى هو أكثر عرضة للتغيير والتبديل عبر التاريخ من أي معنى آخر في اللغة.

"لعل المعنى الاجتماعي - الثقافي يختلف قليلاً أو كثيراً من محيط إلى آخر، ومن موقف إلى آخر، ومن الجلي أن هذا المعنى هو ذو أهمية في فهم

<sup>1</sup> دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ت. ميشال عاصي، ص 7.

المعنى وإدراكه للكلمة أو التعبير؛ لأنّ المعنى الكلي لا يتوقف على المعنى اللغوي وحسب، وإنما يقترن بالمعنى الثقافي والاجتماعي ...<sup>1</sup>.

ويعدّ جورج ميد (George Mead) اللغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي التي يتعلّم من خلالها اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم العامة، فاللغة كما يتمثلها: "تضع الوسائل العلامية، والرموز المشتركة التي بواسطتها يبلغ الطفل عقله البشري، فالطفل طبقاً لرأي (ميد) يتعلّم التفكير، ويشعر بالطريقة التي يؤديها الآخرون ..."<sup>2</sup>.

ولا يقتصر عمل اللغة على العلاقة الطبيعية التي بواسطتها نميز بين جماعات المتكلمين، بل يتعدى هذه الوظيفة تحديد الطبقات الاجتماعية، والمنزلة التي يشغلها الأفراد أو الطبقة التي يتطلعون إلى الانتماء إليها.

"فهي بوصفها نظاماً اجتماعياً تتحوّ منحى كثيرة، وتظهر بأشكال متنوعة، فكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة حسب طبقتهم الاجتماعية، فلرجال ألفاظ معينة تشيع في فضائهم لا تعرفها النساء، ولا يتلفظن بها أبداً.

وللأطفال كلماتهم وعبارتهم التي تجعل لهم عالماً اجتماعياً متميزاً، وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن مرحلة من مراحل العمر وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة ..."<sup>3</sup>.

لذا فإنّ محتوى التعبير الشفوي يقتضي معرفة بتقاليد اللغة وأعرافها، وتقاليد التعبير وأسلوبه عند متكلميها، وطريقة تفكيرهم التي تنعكس على أسلوب التعبير الذي يستعمل لغاية المشاركة الوجدانية الاجتماعية، لأنّ

<sup>1</sup> صالح مهدي شريدة: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م25، ص318.

<sup>2</sup> Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching by, j.B. pride, p.5.

<sup>3</sup> وليد نصّاب: الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفصحى، ع97، ص74.

الجهل بتلك التقاليد يُقضي إلى أخطاء في الاستعمال الاجتماعي للغة، بل ربما أويقت كلمة صاحبها؛ لجهله تقاليد اللغة ودلالاتها.

احتفى اللغويون العرب بالمنحى الاجتماعي - الثقافي للغة، فربطوا الكلام بإطاره الاجتماعي، وأمعوا إلى أثر المقام في تشكيل المعنى، وقد صدروا في ذلك عن إدراك لهذا الحراك اللغوي الاجتماعي.

تحدث الجاحظ عن لغة الجوّاري والكواعب والشّواب<sup>1</sup>. وألمح إلى التنوعات اللغوية المتأثرة بالتنوعات الاجتماعية بقوله: "ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلتزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة"<sup>2</sup>.

وأشار الجاحظ إلى تنوع الكلام بتنوع المتكلمين من حيث الثقافات والبيئة والجنس: "وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه مُتخيراً فاخراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز"<sup>3</sup>.

وتنبّه محمد سلام الجُمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إلى أثر المحيط الاجتماعي والبيئة في لتخير اللغوي حين تعرض إلى شعر عدي بن زيد، فقال:

"كان يسكن الحيرة، ويُراكن الرّيف، فلان لسانه، وسهل منطقه ..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الجاحظ: البيان والبيان، 146/1.

<sup>2</sup> الجاحظ: الجوّار، 368/3.

<sup>3</sup> الجاحظ: البيان والبيان، 69/1.

<sup>4</sup> ابن سلام الجُمحي: طبقات فحول الشعراء، ص 14.

والنكت اللغويون العرب إلى السياق حين تعرضوا للمقام، ذكر بشر ابن المعتز في صحيفته أنه:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..."<sup>1</sup>.

وتحدث ابن طباطبا عن الموقف، وعده أساساً لحسن الكلام وجودته:

"ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها: كالمدح في حال المفاخرة، وحضور من يكبت بإنشاده من الأعداء، ومن يسرّ به من الأولياء. وكالهجاء في حال مباراة المهاجي، والخطّ منه حيث ينكى فيه استماعه له. وكالمراثي في حال جزع المصاب، وتكرّر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه، وكالاعتذار والتصلّ من الذنب عند سلّ سخيمة المجني عليه، والمعتذر إليه. وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران، وطلب المغالبة. وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه"<sup>2</sup>.

وتنبّهت البلاغة العربية إلى أهمية الموقف عند تأليف الأسلوب، فنهض علم المعاني إلى مراعاة الموقف، واتساق الكلام مع مقتضى الحال. ويفترض علم المعاني أن أي تغيير في التشكيل اللغوي يؤدي تلقائياً إلى تغيير في معناه، فالعلاقة بين الشكل والمضمون لازمة وحتمية.

ولم يقتصر الاحتفاء بالمقام على البلاغيين بل التفت إليه اللغويون والنحاة أيضاً، فعلى الرغم من معيارية اللغويين العرب في تقعيد اللغة إلا أنهم

<sup>1</sup> الجاسط: فريدان والبيّن، 138/1-139.

<sup>2</sup> ابن طباطبا: حيل الشعر، ص 54.

لم يغفلوا الأثر الاجتماعي في الحراك اللغوي، فقد تنبهوا إلى أثر البيئة حين جمعوا اللغة، وأوماً النحاة إلى الوجهة الاجتماعية في الدرس النحوي، فكثير من دروس النحو لا يمكن استيعابها وفهم خواصها التركيبية، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي توظف فيها، نحو: درس النداء الذي يفترض في جوهره منادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفيه، وملئمة حرف النداء للموقف الكلامي.

وإذا كانت (الاستغاثة) هي نداء من يخلص من شدة أو يُعين على دفعها، فإنها نمط خاص من النداء له عناصره التركيبية، وتقتضي إصغاء. وهذا يُجلب الوظيفة الاجتماعية لهذا الأسلوب، إذ لا ينادى إلا المُميز؛ لتعذر الإجابة من غير العاقل.

ويتعين مراعاة المقام الاجتماعي في الدرس النحوي حين نوظف "الإغراء والتحذير"، و"الحذف"، و"الاستفهام"، و"الإيجاب والطلب"، و"النعته المقطوع"، وغيرها من دروس النحو؛ إذ لا يمكن استيعاب هذا التوظيف وفهم خواصه التركيبية إلا بربطه بمقاماته الاجتماعية التي تتحقق فيه، فاللغة تتشكل في أساليب متعددة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه.

وأومض بعض العلماء إلى التنوعات اللغوية للجنسين، ففي تعليق لأبي بكر الباقلاني على قول امرئ القيس:

لك الويلات إنك مُرْجلي

قال الباقلاني: "وهذا من كلام النساء".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الباقلاني: إحصاء القرآن، ص 81.

وحيث درس ابن جني أسلوب الندبة، ذكر أن "أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"<sup>1</sup>. ولم يُغفل ابن جني الوجهة الاجتماعية في منهجه، فاللغة - وفق تعريفه: "أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>2</sup>.

فهي ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين وأغراضهم، فالمجتمع مجموعة من الناس تترايط من أجل غرض أو حاجات، واللغة وسيلتهم المضمونة في التواصل والخطاب.

ولعلنا نستشعر الأثر الاجتماعي في ظاهرة التدرج السني، فلأطفال حديثهم الخاص الذي يميزهم من غيرهم من البالغين، وكذا للنساء لغة لا يستخدمها الرجال، وهناك مجتمعات تستخدم فيها الطبقات طريقة في الكلام تميزها من غيرها.

فظاهرة التدرج السني، والتنوعات اللغوية تعكس أبعاداً متنوعة، كالأصل العرقي، أو الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو الجنسي ...

وعلى الرغم من أنه توجد لغات بعدد الأفراد، فكل سمته اللغوي الذي يميزه من الآخرين إلا أن هذه التنوعات بين الأفراد لا تُقيم قطيعة بين أعضاء الجماعة اللغوية، فهم يتواصلون من خلال الجوامع المشتركة التي تميز هذه الجماعة من غيرها.

فالسلوك اللغوي والاجتماعي في حالة حراك واحتشاد دائمين، وهذا ما أيده ديتمار (Dittmar) إذ يرى: "أن السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأن حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن جني: النعم في العربية، ص 12.

<sup>2</sup> ابن جني: الخصائص، 33/1.

<sup>3</sup> An Introduction to Sociolinguistics, by, Wardhaugh, P.12.



ومما يَعضد هذه الوشائج بين اللغة والمجتمع، أن لكل مجتمع تقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عبر اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تُمارس سطوتها على أعضاء الجماعة تُلقى بظلالها على السلوك اللغوي. "لكل جماعة لغوية طرائقها في التحية، والتهنئة، والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع، وممارسة الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الخراج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والعقوبة"<sup>1</sup>.

فَهَبْ أَنْ إِنْسَانًا هُنَا عَرِيسًا يَقُولُهُ: "عَظُمَ اللهُ أَجْرَكُمْ" إِنَّهُ لَتَحَوَّلَ التَّهْنِئَةُ بِالْفَرَحِ إِلَى فَالٍ شَرٍّ يَسْتَهْجِنُهُ السَّامِعُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْعِبَارَةَ تَحْمِلُ مَعْنَى الدَّعَاءِ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَاعِ صَاحِبُهَا الْمَوْقِفَ الْاجْتِمَاعِي فِي ذَلِكَ.

ولابد من وضوح الهدف في السياق، فقد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخرين، أو إغضابهم، أو مجاملتهم، إلى غير ذلك من أهداف متنوعة تتساقط والعلاقات الاجتماعية.

فوظيفة اللغة البارزة وظيفية اجتماعية: "فالعبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأديب عند مخاطبة الآخرين لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة الاجتماعية بينهما"<sup>2</sup>.

إن مراعاة المقام الاجتماعي بَلُطَفِ النظر يُكْمِبِ المتحدث القدرة على التأثير، ويوفر له شرطاً مهماً من شروط الخطاب، فقديماً قالت العرب: لكل مقام مقال" وفي هذا إدراك لأهمية السياق، ومراعاة المقامات وفقاً للعوامل

<sup>1</sup> ينظر: علي عبد الواحد والي: اللغة والمجتمع، ص 3-8.

<sup>2</sup> تليف حرمان: أنصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 210-211.

المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلم أو السامع.

وينبغي أن يُراعى في السياق عنصر الموضوع؛ فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظف مصطلحات علمية في سياق شخصي، أو حماسي. فالكلام - كما وصفه فيرث (J.R. Firth) - ليس ضرباً من الضوضاء يُلقى في فراغ، فمدار فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي مُعَيَّن.

احتفى (فيرث) بالسياق فحدّد مفهومه للمعنى: "بأنه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، فمعاني تلك العناصر تتحدد وفق استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما معنى لا يلبث أن يتغير تبعاً للموقف الموظف فيه.

فالإنسان يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية متنوعة تُحدّد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمد، ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها، فتحة إطار اجتماعي تُستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مع عناصره<sup>1</sup>.

وممن غنوا بالسياق عالم الإناسة مالينوفسكي (Malinowski) الذي أكد ضرورة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي؛ فهذه المعطيات لا تتحدد اعتباطاً، فالكلمة تُستعمل كلما أمكن أن تؤدي عملاً، لا لوصف شيء أو ترجمة أفكار وحسب.

<sup>1</sup> معطى لفظي: لفظية العربية (ن) بطورها الاجتماعي، ص 47.

"بحث (مالينوفسكي) وظيفة اللغة حين درس حياة السكان في "جزر تروبريان الغربية" من (غينيا الجديدة)، فلاحظ سلوك سكانها البدائي وعلاقة هذا السلوك بالاستعمالات اللغوية، وانتهى من بحثه بجملة من الملاحظات منها: أنه لا بد لدراسة اللغة في الجماعات البدائية من أن نمهد لها بدراسة أخرى هي دراسة النشاط العام، إذ إن اللغة في الواقع هي طريقة من طرق السلوك الإنساني في ظرف عملي خاص، وهي عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته...<sup>1</sup>

إن حالة التفاعل بين اللغة والمجتمع توجب تأثراً وتأثيراً بين أنومي المعادلة، فاللغة نتاج الفعل الجمعي الذي هو جماع تفكير أفراد المجتمع وعقولهم.

وتأسيساً على هذه الوظيفة، وصف (مالينوفسكي) اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات.

"أكد علماء اجتماع اللغة أن التطور الثقافي والحضاري لأي أمة يؤثر تأثيراً بالغاً في محمولات الألفاظ، حيث تتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً، أو كثيراً عن أوضاعها الأولى تبعاً لدرجة التطور الثقافي"<sup>2</sup>.

ولعل أسلوب التضافيف بين اللغة والمجتمع أفضى بالدارسين إلى إعلان علم مستقل أطلق عليه "علم اللغة الاجتماعي" (Sociolinguistics)، شغل برصد اللغة في سياقها الاجتماعي، والوقوف إلى التغيرات الحادثة من الحراك المتبادل بين اللغة والمجتمع.

وقد صدر علماء اللغة الاجتماعيون عن قناعة ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوفر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية. وهي تدخل في علاقة

<sup>1</sup> أوتو يوس: اللغة بين الفرد والمجموعة، ص. عبد الرحمن محمد، ص 12.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 22 وما بعدها.

جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، وهي نسق عام يشترك في اتّباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون فيما بينهم؛ لأنها أظهر العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدوام رمز لما بينهم من تشارك.

ليست اللغة من صنيع فرد، إنما هي تعاقد يجري بين أعضاء الجماعة تقتضيها طبيعة الاجتماع، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة الفاعل والمنفعل لكليهما. وليس بمكنة عالم الاجتماع نزغ الأثر اللغوي في دراسته للمجتمع، كما أنّ دراسة اللغة تقضي إلى العناية بالسياق الاجتماعي، إذ "لا يمكن فهم اللغة خارج سياقها الاجتماعي، وإنّ علم اللغة النظري العام لا يمكن أن يواصل مسيرته دون الإفادة من إنجاز علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص"<sup>1</sup>.

ومما شجّع على نشوء علم اللغة الاجتماعي أنّ اللغة ظاهرة متشعبة الجوانب، فهي في وجودها بناء ذاتي يأتلف من مستويات صوتية وصرفية ومعجمية ونظميّة...؛ لأنها في أدائها الطبيعي تتحقق بالمنطوق والمسموع، وهي كيان نفسي ترتبط بالدوافع والحاجات، وهي ظاهرة اجتماعية تمتد في بنية المجتمع وتكوينه. فاللساني يتوخى منهاجاً يدرس تطور الألفاظ، وارتباط المفردات والتراكيب بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية...

فاللغة ليست بناء مجرداً من المؤثرات الخارجية، لذا كان ينبغي أن يعبر علماء اللغة اهتماماً لتأثير الحياة الاجتماعية على اللسان، فتمت تزامن بين العوامل الاجتماعية وكل من الكلام، والتنوعات اللغوية، واللهجات والازدواج اللغوي، والخطاب السياسي والأدبي والإعلامي...

فتفسير الوقائع اللغوية بمعطيات المجتمع يقضي إلى تجلية الظاهرة اللغوية، وربطها بسياقها.

<sup>1</sup> هلسون: علم لغة الاجتماعي، ص 7.

## تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين:

شغل علماء اللغة بالتنوعات اللغوية وأثر العوامل الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: التدرج السني، والانتماء العرقي (race)، والاختلافات بين الجنسين، والمكانة الاجتماعية، والسياق الاجتماعي للكلام، والمركز الاقتصادي والسياسي، وغيرها من العوامل التي تسهم في التفكير اللغوي.

ولعل ما يستجلي الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي هو دراسة السلوك اللغوي للجنسين، وارتباط التنوعات اللغوية بالعامل الاجتماعي والثقافي.

فالاختلافات في الكلام بين الرجل والمرأة لا يمكن دراستها بنجاح بمعزل عن بعضها، وبالتالي فإنّ المواقع الاجتماعية المختلفة وغير المتساوية في القوة يجب بحثها ودراستها من منظور اجتماعي.

ويتعيّن إشراك الجانب النظري من العلوم الاجتماعية في مناقشة السلوك اللغوي للجنسين؛ لأنّ كثيراً من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية، فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.

لقد جذر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال نسوية الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي.

يذهب دارسو النسوية إلى أنّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية، والمرأة بسماتها السلبية مما ينجم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى، إنّما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنّ الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسّس "بنية جنسوية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين، وبهذا فإنّ الثقافة وليست الطبيعة

البيولوجية هي التي تضع قيوداً ومحددات على طرق التفكير والإبداع والسلوك<sup>1</sup>.

ويدعم علم النفس التجريبي هذه النظرة بإشارته إلى:  
"أن أكثر خصائص المرأة، نحو: أقل عدوانية، أقل اهتماماً بالأشياء التقنية، أكثر سلبية، أقل استقلالاً، أقل إبداعاً، أقل طموحاً، ... سببها اجتماعي"<sup>2</sup>.

فالمرء لا يأتي إلى العالم امرأة، كما تقول (سيمون دي بوفوار) - بل يجعلون منه هكذا... "فالمرأة تبدأ بالقول أنا امرأة حين تحاول تعريف نفسها، وليس هناك رجل يفعل ذلك، هذه الحقيقة تكشف اللاتماثل بين مذكر ومؤنث، فالرجل هو الذي يحدد الفارق الإنساني وليس المرأة"<sup>3</sup>.

كان الاعتقاد السائد في القرون الخوالي، أن منشأ هذا الاختلاف بين الجنسين هو اختلاف (فسيولوجي) و (بيولوجي)، حتى تحولت هذه اليقينيات في وعي الأفراد إلى متشجب يعلقون أخطاء المرأة عليه، فهي جنس ضعيف، طبيعتها تملي عليها الرضا بالهامش، وأخذ دور التابع.

فالجثرية البيولوجية أمست الطبيعة الثانية للمرأة، والمُسوَّغ لغيابها عن مواقع الفعل والتأثير؛ لذا اقترنت المرأة - وفق ثقافة المجتمع - بأدوار نمويّة الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي، فالنساء مُعرّقات بالطبيعة أو مرتبطات بها بشكل رمزي، إذا ما قورنَ بالرجال المعرّقين بالثقافة؛ التي تؤكد ذاتها تبعاً لتفوقها على الطبيعة.

<sup>1</sup> ميجان الرويلي، وسعد الطرعي: دليل النقد الأدبي، ص 85.

<sup>2</sup> أورزو لاشوي: أصل الفروق بين الجنسين، ت. بوعلي ياسين، ص 14.

<sup>3</sup> رمان سلق: النظرية الأدبية المعاصرة، ت. جابر عصفور، 195.

إنَّ الهوية الجنسية تُفرض على الجنسين منذ النشأة الأولى، فيُدفع الأطفال بصورة منتظمة إلى دور جنسوي يتناغم وجنسهم .  
وترى عالمة النفس (أورزولا شوي) أنَّ فرض الهوية الجنسية يبدأ في رحم الأم، فإذا تمتع الجنين بحيوية زائدة قيل "سيكون صبياً". وكذا الأمر في الرضاعة، فالأمهات يُرضعن البنات بشكل مغاير لإرضاع الصبيان، وعلى البنات الصغيرات أن يتناولن الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط تُطعم البنات أبكر من الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تُقبل الأم بصورة لا شعورية بسُلطة الرجل الصغير واستقلاليته، فتترك له الإيقاع الطبيعي لرضاعته، فيما تُقطع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تُبدي استعداداً لمسايرتها، بل تُخضعها لإرادة غريبة<sup>1</sup>.

نهضت كثير من الدراسات لبحث الفروق بين الجنسين، والوقوف على الحقيقة التي مرَّرها المجتمع، بشأن تفوق الذكر، وتراجع الأنثى، وهل مبعث ذلك ما وهبته الطبيعة للذكر من قدرات بيولوجية وعقلية، ونزعته من الأنثى؟.

لكن هذه الدراسات انتهت إلى "أنه لا يتوفر دليل علمي في البيولوجيا أو الفسيولوجيا ما يُثبت أنَّ المرأة أقل من الرجل عقلاً، أو جسداً، أو نفساً.

\* إنَّ الأصل في التعبير هوية الجنس Gender identity، أي في تعريف الولد أو البنت على حقيقة جنسهما ولأنَّ أو بنتاً، إنَّ هذا الأصل هو هذه الأنوثة التي يمايزها كل من الولد والبنت بالأم منذ الولادة. ويطلق علماء النفس عليها اسم الأنوثة الأولية Proto femininity، وهناك من المشواهد ما ثبت أننا نعظر على هذه الأنوثة منذ ولادتنا، ولكننا نتجه من بعد إلى تأكيد الذكورة فيما لو الأنوثة الأولية، ولو لم تكن هذه الأنوثة عطرية ما كان من الممكن أن يتحول الأولاد إلى الأنوثة ويصغر فؤاد بنسوة. والتبحث في الذكور سبب تعلق الأولاد للذكور بالأم حتى يُبتق على الولد أن يبتغي عن أمه في سن المدرسة، ويجد العت الصدية في الاتصال عها.

ينظر: عبد النعم الحنفي: التوسعة النفسية الجنسية، (66)، دوماً بعدها.

<sup>1</sup> أصل الفروق بين الجنسين: ص 9.

إنَّ الوضع الأدنى للمرأة فُرض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل بقاء الأسرة الأبوية واستمرارها...<sup>1</sup>.  
فهذا التسلسل الهرمي لا يستند إلى أساس بيولوجي أو طبيعي، بل يتسلسل من خلال المنظومة الاجتماعية لإقامة الفروقات، وعدم المساواة.  
تذهب روث بلير (Ruth Bleier) "أستاذة الطب" إلى أنَّ التمييز الطبيعي أصبح جزءاً من (البيولوجيا) تسعى إلى جعل ما هو في الحقيقة اختلافات اجتماعية وسياسية يبدو فوارق طبيعية وبيولوجية، وبذلك تسوِّغ التمايز في الأدوار الاجتماعية وعلاقات الهيمنة بالخضوع، وأكثر من ذلك أنَّ ما يمكن أن يفرض بوصفه طبيعياً يصبح ببساطة معياراً يسوِّغ القواعد والأعراف التي تقتضي استهجان كل من يحيد عنها وعقابهم<sup>2</sup>.  
فالتذكير والتأنيث مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس قيمة طبيعية جوهرية. فلماذا يجري تفريغ الجسد المؤنث من اللغة، وعزله عن الفعل والتفاعل اللغوي؟ يجيب عبد الله الغدامي عن هذا التسأل بقوله: "إنَّ ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أنَّ جسد المرأة خالٍ من الفعل، وهذا تصوُّر ثقافي عالمي، نقرأ لدى الدنمركيين هذا المثل (للنساء فساتين طويلة وأفكار قصيرة)<sup>3</sup>".  
فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، ولكنها أيضاً وسيلة لبناء الواقع/الحقيقة، والسلوك اللغوي يعكس الفروقات في القوة، وفي الآن نفسه يُستهم في التوزيع غير العادل.

<sup>1</sup> نوان السعدوي: الأني هي الأصل: ص 18.

<sup>2</sup> ميجد الرويلي، وسعد البزعي: دليل النقد الأدبي، ص 86-87.

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي: ثقافة الوهم، ص 66.



إنّ تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية والسلالة، والعمر، والجنس. واللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإنّ هذه الثقافة يمكن تحليلها بحصر خُزْمة من المواقف الاجتماعية التي يُسمّى كل منها (مقاماً)، فالألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن فئة من الناس أو مرحلة من مراحل العمر تشبه العلامة الفارقة التي تميّز تلك الفئة أو المرحلة.

وتتجلى هذه التمايزات في المواقف الاجتماعية العديدة، ولعل أظهرها أساليب التحية والنداء، وأحسب أن التمثيل على ذلك يحقّق ما نهجس به.

- عبارات التحية: أعرض هنا إلى العبارات الشائعة في مجتمعنا لتبيّن

أثر السياق الثقافي والاجتماعي في السلوك اللغوي:

- مَرَحَبًا، مَرَحَبًا (بترقيق الراء وتسهيل الحاء).

- صباح الخير، صباح الخير (بإشراب الصاد سيناً، ومطل الياء).

- صباح الورد، صباح الفل.

- السلام عليكم.

- هَآي.

- مساء الخير، مساء الخير، مساء الخير.

- على العافية، العوافي، يعطيكم العافية (ينطيك العافية، ينطيكوا

العافية "للجمع". أو ينطيشوا العافية بنطق الكاف كما تنطق (ch)

في الإنجليزية).

- قو الرجال، قوكم (تنطق القاف متأخرة إلى الخلف).

- عبارات النداء:

- ماماء بابا / أمي، أبي / مامي، بابي / ممام، بباء / مم، دادي /

يمه، يويه / يمه، يابه.

لعلنا نستشعر من هذه العبارات الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله المتكلم أو المخاطب على السواء، كما ترمي العبارات إلى المراحل العمرية، والمستوى الثقافي للمتكلم، والفروق الجنسية، والعلاقة التي تربط بين المتكلمين والمخاطبين، إلى غير ذلك من اختلافات اجتماعية، مما يؤكد أن اللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول.

يشرع التركيب الاجتماعي والثقافي ببذر قوانينه منذ تخلق الجنسين، فثمة سلوك متعين للجنسين، ولا ينبغي الخروج عن هذه الضوابط، فالبنات في بعض الشرائح الاجتماعية تُلَقَّن اللغة بطريقة مغايرة للصبي، فلا يُسمح لها الحديث بصوت عال، أو مقاطعة الكبار، أو إبداء رأيها في حوار أو مناقشة، أو أن تتنطق بعض الألفاظ، أو أن تتداول بعض النُكْت.

... فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنات لا ترفع صوتهن، البنات المؤدبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنات تبتسم ولا تضحك ...  
أما الصبيان فيَحْظَوْنَ بما حُرِّمَ على البنات، فلهن أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضباً، وأن يعترضوا، وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يُلْقُوا النكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع، وأن يسخرُوا من الآخرين، فهم صبيان، ويحقُّ لهم ما لا يحقُّ لغيرهم.

ويُمنعُ المجتمع في تعزيز هذا السلوك حتى يغدو قانوناً طبيعياً يستكن في العقول فلا يحيد عنه أحد الجنسين، ولو حاولت البنت أن تنسب عن الطوق الاجتماعي لتعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلَّد الصبي البنت في حديثها لاستهجنوا صنيعه، ورمَوْه بالتخنث، والتكسُّر، والميوعة ...

تذكر روبين لاکوف (Robin Lakoff) : "أن الأطفال في اليابان من الجنسين يستخدمون أنوات التعريف الخاصة بالمرأة إلى أن يبلغوا الخامسة من

أعمارهم، ثم يوجه الذكور إلى التوقف عن استخدام هذه الأساليب اللغوية حتى لا يوبخوا ويُسخر منهم<sup>1</sup>.

وثمة أعراف اجتماعية للجماعات والأمم تظهر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي "فالأبيون (Abipon) في الأرجنتين يقومون بإضافة اللاحقة (in) (إن) في نهاية كل كلمة، إذا كان المتحدث أو المتلقي من المحاربين. وتتضمن لغة اليانا (Yana) في "كاليفورنيا" صيغة تستخدم في الكلام عن النساء أو فيما بينهن"<sup>2</sup>.

"وفي لغة الكوساتي (Kossati) المستخدمة في "لويزيانا" (Louisiana) هناك اختلاف في صيغ الأفعال التي تستخدمها الإناث، وتلك التي يستخدمها الذكور يقوم الذكر بإضافة (-S) في نهاية الصيغ المؤنثة؛ ومن الأمثلة على ذلك: أن الذكور يستخدمون صيغة lakáws، وتستخدم النساء صيغة lakáw، وتعني الصيغتان "يرفع"<sup>3</sup>.

"وفي واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية، أما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوية، ولا يستطعن التعامل بالعربية.

وشبيه بهذا في المناطق النوبية في مصر أو البربرية في المغرب العربي والمهرية في شرق اليمن. وارتباط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية، فمجتمع النساء في هذه البيئات منفصل

1 Extract from Language and Woman's Place, by Robin Lakoff, from (The Feminist Critique of Language, Cameron, D (ed) 1998, p. 242).

2 See The Feminist Critique of Language, Edited by, Deborah Cameron, p. 242.

3 هاسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

تماماً عن التعامل الخارجي، ولذا لم تدخله العربية؛ لغة التعامل الخارجية، ولغة التعليم والثقافة<sup>1</sup>.

إنّ إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو إنتاج مراقب، ومنتقى، ومُعَاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحد من سلطته ومخاطره.

وإذا تقبلنا فكرة (ميشيل فوكو) التي ترى: "أنّ ما هو صواب يعتمد على من يُهَيِّم على الخطاب"<sup>2</sup>، فمن المعقول أن نسلّم بأنّ سيادة خطاب الرجل أوقع المرأة في فخ حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام بتشكيل الواقع وفق تصورات، فوزع الأنوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء التقسيمات، واختيار المعاني، بعد ذلك قام بالمصادقة عليها، ولم يكن للمرأة في هذا سوى الرضوخ، والرضا بنصيب "أم الحليّس" في الشاهد النحوي المشهور.

في ظل هذا المشهد الذي آلت الأمور فيه إلى الرجل، تشكّل السلوك اللغوي للجنسين، فالمرأة أكثر ميلاً للمحافظة على العادات والأعراف، وأشدّ التزاماً بالمعيار، فهي لا تنساق إلى التغيرات الحادثة باندفاع الرجل.

ولعل هذا السلوك الذي تهجه للمرأة يحقق لها -وفق نظرتها- احتراماً في التراتب الاجتماعي، ويجنبها السخرية والانتقاد من محيطها، فقلماً تلجأ المرأة إلى اللغة السوقية أو الابتذال في الألفاظ.

وقد لا ينسحب ذلك على المرأة العربية في العصر الراهن، فهي تنتحي -على الأغلب- لهجة محلية تحظى بالسيرورة والمكانة الاجتماعية؛ لأنّ ذلك يضيف عليها مسحة أنثوية، إضافة إلى أنّ الدور الذي تشغله المرأة في السّلّم الاجتماعي لا يوفر لها سبيل اكتساب لغة الثقافة السائدة، إذ إنّ دور

<sup>1</sup> علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص 24.

<sup>2</sup> ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ص 9.

المرأة مُختَرَل في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وفي أعمال اجتماعية محدودة؛ مما يُلجئ المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المَحْكِيَّة في أدائها اللغوي.

أما الرجال فلم يفضأؤهم المتراحب، فمنهم السياسي، والاقتصادي، ورجل الدين، والتربوي، والعسكري، والإداري ... إلى غير ذلك من أدوار تُسهم في إكسابهم اللغة القياسية إلى حد كبير.

فالتنوع اللغوي يلتحم بالعامل الاجتماعي وجوداً وعدماً.

ومما يورمى إلى العامل الاجتماعي وأثره في تشكيل السلوك اللغوي للجنسين. "أن النساء في اليابان يصفن اللاحقة ne إلى نهاية كل جملة دلالة على أنهن نساء، مما يدل على المكانة الاجتماعية التي تشغلها المرأة في المجتمع الياباني. الذي - غالباً - يصور المرأة أنها تابعة للرجل، وأن مكانها دائماً في البيت، لذا يستخدم الرجال كلمة Kanai للإشارة إلى زوجاتهم، وتدل هذه الكلمة على الشخص الذي يبقى رهين البيت، إذ إن المقطع "Ka" يعني البيت، المنزل، العائلة، و "nai" يعني الشخص في إطار المجتمع الياباني.

وتعبر كلمة Kanai عن علاقة الأعلى بالأدنى، أي الرجل بالمرأة، ولعل الأسوأ من ذلك، أن الرجال الطاعنين في السن يستخدمون كلمة "Gusai" وتعني الزوجة الغيبة للدلالة على زوجاتهم، والاستهجان هنا أنه لا توجد كلمة بمعنى الزوج الغيب، بل إن هناك تعبيراً "يا سيد" لمخاطبة الرجل من قبل المرأة<sup>1</sup>.

وأوضح جيرتز Geertz أن النساء في جزيرة (جاوا) في أندونيسيا يمارسن المهن المختلفة، ويملكن المزارع ويُشرفن على الحصاد، أما الرجال فيقومون بأعمال البيت كالتنظيف، والتدبير المنزل وإعداد الطعام.

<sup>1</sup> إيرلهم الملاء: فلسفية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أنكلو، ع 149، ص 20.

وفي هذه الجزيرة تحظى لغة النساء بالسيرورة والتمثل من قبل الأطفال والبالغين<sup>1</sup>.

ووصف سيجل (Seigel) العائلة الإنتاجية في أندونيسيا: "بأن النساء فيها يقطن في المنزل الخاص بالأباء والأجداد بعد الزواج، ويمتكن قياد الإدارة في البيت.

ويقتصر دور الرجل في هذه العائلة على جلب المال، وتتنظر نساء هذه العائلة إلى دور الرجل بأنه محصور بين الطفل والضيف"<sup>2</sup>.

لعل هذه التجليات لمكانة المرأة تستدعي مرحلة مرت بها المجتمعات وهي مرحلة السيادة المتريركية (الأمومية)؛ إذ كانت المرأة تنافس الطبيعة في خصوبتها، وهي السيدة الأولى في المجتمع، بيدها معاهد الأمور، وباسمها كانت تهجس الثقافة، وهي موضوع التأمل، ومنبع الحركة والحياة.

لذا "فإن أول دينة للرجل كانت المرأة، منها بدأ تعبد، وإليها شرعت الصلوات الأولى، وهي الرحم العالي، ومنشئة الكون، ومصدر كل شيء، من ذاتها تخلق الإنسان، وفي بطنها نشأ"<sup>3</sup>.

كتب ميشيل شتيغان (Michael Eshtevan) عن المجتمع الأمومي: "كانت النساء منتجات في المجتمعات المتريركية، وكن يتحكمن بوسائل الإنتاج، ولسيطرتن على السلطة الاقتصادية والاجتماعية امتلكن السلطة السياسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Woman, Culture and Society, by Michell Zim and Lampbere, p. 25.

<sup>2</sup> See: Woman, Culture and Society, P. 26.

<sup>3</sup> كلامي: العشق الجنسي والنفوس، ت. عبد الهادي عيسى، ص 20-21.

<sup>4</sup> عن: لورولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص 30-31.

وفي ظني أن هذه التحققات الاعتبارية للأنثى قد تُقضي إلى تغيير في الخطاب السائد، والسلوك اللغوي للأفراد، فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوع الاستعمال بما يوائم الدور المنوط بها، فإنه سيختفي معجمها الذهني ويتنوع، وهذا يؤكد ارتباط قوة الخطاب بروافد الحضور.

إنّ اللغة تتأثر بمحيطها، فارتباطها بالمجتمع ارتباط الجزء بالكل، ولعل هذه الإرهاصات متعينة في سلوك الأفراد في المجتمع.

هذه الرؤى الاجتماعية سكبت نسقها في يخضور اللغة حتى صيرتها بيد الأقوى، فشكل الرموز، واجترح المفردات، وترتفع على عرش الخطاب.

يتباين السلوك اللغوي للجنسين تبعاً للأثر الاجتماعي الممارس على الجنسين، فالمجتمعات التي تضرب حُجُبها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فيصبح للأنثى ألفاظها، وموضوعاتها، واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر.

لما المجتمعات التي تتيح للجنسين التفاعل والاختلاط فإنّ السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي.

لاحظت الباحثة جينيفر كوتس (Jennifer Coates) أنّ مجموعات معينة من النساء مثل المتخصصات، والمشتغلات بالسياسة قد اخترن لأنفسهن أساليب لغوية جديدة وفرت لهن التقارب من اللغة السائدة/ لغة الرجل. بأساليب متنوعة، منها:

- تجنب الأصوات الحادة ذات التردد العالي.
- استخدام الألفاظ المبتذلة، والمفردات السوقية والمحرمّة Taboo.
- اختيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً من ملامح الرجال، كاستخدام الأنماط التقييمية الهابطة بدلاً من الصاعدة.

- تفضيل الأسلوب الأكثر جزمًا في التفاهم داخل المجموعة.
- التفاعل في موضوعات - كانت وفقًا على الرجال - مثل السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.
- الميل إلى استخدام اللغة السوقية، وتجنب اللغة المعيارية<sup>1</sup>.

لعل ما دفع هؤلاء النساء لنهج هذا السلوك هو سيطرة لغة الرجل، وتسيده إنتاج الخطاب، فالمرأة بتماهيها مع لغة الرجل تقترب من القوة، ومناقسته في مضارب الحياة.

لذا لجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماءذكورية للكتابة في المجالات والمصنف، لأن المجتمع لم يقبل بعد خوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها -وفق المخيال الاجتماعي- بالسذاجة، والسطحية ومن هؤلاء ` Marian Evans التي لجأت إلى اسم (George Eliot) والأخوات برونتي Brontes اللواتي استخدمن أسماء رجال هي: (Currer Bell, Ellis Bell, Acton Bell) ولجأت Mary Murfee إلى (Charles Egbert Craddock) في كتابتها<sup>2</sup>.

إنها تلج اللغة عبر قنطرة الرجولة، فهي بوابتها الشرعية لتمنحها القبول والسيرورة، فالمرأة مسكونة دوماً بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد. ولا نستعجن ما قالت (مي زيادة):

"نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مختار: اللغة واختلاف الجنس، ص 37، نقلاً عن:

Women, Men and Language, by Jennifer Coates, P. 10.

<sup>2</sup> Toward a feminist poetics, by Elaine Showlter, P. 138.

<sup>3</sup> مي زيادة: الأعمال الكاملة، 1/170.



ولعل التماهي مع لغة الآخر دعا الروائية (أحلام مستغانمي) للسرد بلسان الرجل؛ لأنّ ذلك يوفر لها حرية التّوَحُّج، ويشرع لها أفقاً لا تتحقّق لو كان السرد بلسان أنثى، إنها تكتب لاستعادة صوّتها، وممارسة حقّها في اللغة "نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه، وما سُرِق منا خُلسة"<sup>1</sup>.

إنّ ما تلجأ إليه المرأة للمصافحة من لغة الرجل هو حيلة نصبها المجتمع للمرأة لإبقاء الذكورة قيمة معيارية تظل المرأة ترنو إليها لمحاكاتها.

لقد قيم جوك هيوزمان (Joke Huisman) النقاش الخاص بالمساواة والاختلاف بين الجنسين، فنكر:

"ما إن تُستخدَم كلمة "امرأة" في سياق سياسي أو نظري حتى تواجه لا شعورياً ما تواجه الحركة النسوية، فوضّح النساء يختلف عن وضّح الرجال، وتُعَدُّ مكانة المرأة منحرفة عن السياق العام بفضل سيادة الذكورة على الثقافة، واللغة والقيم.

ومن المُحال أن نجد أسساً واضحة للفروق بين الرجل والمرأة من وجهة نظر واحدة، فثمة آراء ترى الجنسين متساويين، وآراء أخرى تقدّمهما متباينين. وكل يستند إلى ما يَعْضُدُّ زعمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة للفروق. وكيف تنشأ، ننتهي إلى أنّ مفهوم كلمة "الرجل" يُمثّل العام/ الشامل/ العالمي/ الإنسان.

"أما كلمة "المرأة" فهي رديف الانحراف/ الثانوي/ الهامشي؛ لذا تنعتُ المرأة بالآخر، وهذا يفضي إلى إجبار المرأة على تحديد مكانها في عالم الرجل، أو أنّ نخوض مجالاً آخر في عالم (اللاتساء)، وبالتالي تنأى عن التيار

<sup>1</sup> أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 105.

الرئيس. وباختيار سبيل الفريدة تتكفى المرأة على ذاتها في ظل حضارة تهيم عليها قيم الذكورة<sup>1</sup>.

وتخلص من عرض هذه الأنظار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتسامى فوق وعي الفرد، فهي سابقة في وجودها وجود الفرد؛ لأن قواعدها ونظمها تأتلف والقيم التي ارتضاها عقل الجماعة، ومن ثم فهي تنظم عقول الأفراد، وتصوغ قنوات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها.

فاللغة بذلك سلوك توجهه المعايير والمعاني والقيم في مواقف التفاعل التي تحددها المناسبات الاجتماعية المتعددة. فاستخدام الفرد للسلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، وتسهم هذه الشروط في اختيار الصياغة اللغوية المنسوقة والسياق الثقافي والاجتماعي للموقف الكلامي.

ولعل علاقة التلاحم التي تربط اللغة بالحراك الاجتماعي، أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة، إذ إن هذه النشاطات تصطبغ بالخبرات الاجتماعية والثقافية للفرد، فالسلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، ويتجلى في مناسبات الحياة المختلفة، كالمناسبات الاجتماعية. فعبارات التحايا والمجاملة والوداع، وأضرابها من الكلام تمثل لعادات اجتماعية، ووسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي، ويمكننا من خلال هذا السلوك أن نتبأ بلهجة الطبقة الاجتماعية Social class dialect، فالجماعات الاجتماعية تستخدم لهجات لغوية متباينة تتأثر بالتمايز الاجتماعي القائم بين هذه الفئات.

<sup>1</sup> See: Women's Language, Socialization and Self – image, Edited by De'de Brouwer and Dorian de haan, PP. 131-132.

فلا مندوحة عن الالتفات إلى الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، فالعوامل الاجتماعية بمنزلة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد السياقات للمعنى والكلمات، فنحن مخلوقات اجتماعية يُسهم المجتمع في تشكيل ذواتنا وصوغها وفق المنظومة السائدة، وبالتالي يتخلق سلوكنا تبعاً للمعيار الضابط. وإخال أن رصد السلوك اللغوي للجنسين ينطوي على الصلة الوثقى بين العوامل الاجتماعية والسلوك اللغوي، فحقيقة الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ليس مردّها العامل البيولوجي أو الطبيعي، بل مزجها العامل الاجتماعي والثقافي.

ولعل ما يكتنف هذه الفرضية من إلماعات ومغامرة، قوّى في النفس دراسة السلوك اللغوي للجنسين وفق اللسانيات الاجتماعية؛ لأنّ دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يُستقرّ عن قبوض قد لا تتأثى للمناهج اللغوية الأخرى.

## الباب الثاني

### نظرة اللغة إلى الجنس

- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة

- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيز



## تصنيف الجنس في اللغة:

مَذْ وَطِيَّ الإنسان هذه البسيطة وهو يعارك المجهول، لاستجلاء ما التبس عليه من أسرار وكُمُون. ولقد وفق في مقصده في أحيان كثيرة، إلا أنَّ ثمة ظواهر اعتاصت عليه؛ لما يكتنفها من غموض وتركيب.

ولعل من أظهر هذه المسائل، مسألة الجنس.

فعلى الرغم مما خطه السابقون، وملأوا به أسفارهم، إلا أنهم لم يأتوا بالقول الفصيل في هذه المسألة، فأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية والسماع، وهذا ما انتهى إليه "ابن وهب" حين قال:

"ليس يُوصَل إلى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب إلا بالسماع دون القياس"<sup>1</sup>؛ لأنها لا تنتظم في قواعد صارمة لا تتخلف، ذكر "ابن التستري":

"ليس يجزي أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما"<sup>2</sup>.

ولم يقتصر الجار بالشكوى على السابقين، بل انتقلت الحيرة إلى المحدثين، على الرغم مما بذلوا من وكَد في البحث والنظر. ذكر المستشرق (برجشتراسر):

"التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مُشْكَلَة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلاً حازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك"<sup>3</sup>.

ولعل اقتران مسألة المذكر والمؤنث بالغموض، كامن في أسباب عديدة، منها: ارتباط التأنيث والتذكير بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة والتطور الذي طرأ على مسيرتها أمر نجهله، فلم تترك الأمم من الأمارات الكافية ما

<sup>1</sup> ابن وهب: للمعان في وجوه البيان، ص 329.

<sup>2</sup> ابن التستري: المذكر والمؤنث، ص 47.

<sup>3</sup> برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص 112.

يدل على لغتها، فانقرض كثير من اللغة الأولى، ونُرسِت آثارها، وعَفَت رسومها.

وأحسب أنَّ غياب الأتلة المادية والبراهين المحسوسة من شأنه الحنول دون الوصول إلى تفسيرات قاطعة لهذه المسألة وغيرها من الفصائل النحوية، كالعدد، والزمن، والجنس ...

وهناك سبب آخر أسهم في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، هو تصنيف الجنس في اللغة، فقد تم توزيع المحسوسات والمجردات على قسمين وحسب، هما: "المذكر والمؤنث"، فداخل القسم الواحد ما لا يتعلق مع غيره بقرينة، فالمذكر والمؤنث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسية، وانتفاء هذه القرينة -بالضرورة- أسفر عن غموض في التصنيف، وفوضى في التوزيع.

وانعكس هذا الغموض على تفسيرات الباحثين وتأويلاتهم؛ فتعلفت آراؤهم بالخيال والأسطورة، مما زاد الظاهرة عماء واعتياصاً.

وإخال أنَّ استدعاء تصنيف الجنس في اللغات الأخرى يعضد ما نهجس به، فالساميون صنفوا الجنس وفق قسمين: المذكر والمؤنث، مما يتفق وثنائية الوجود، إلا أنَّ التفسيرات تباينت في العلة التي دفعت الساميين إلى هذا التصنيف.

يَقْتَرِض وليم رايت (W. Wright): "أنَّ الخيال الخصب للساميين كان يرى أنَّ جميع الأشياء حتى تلك التي يبدو واضحاً أنَّ لا حياة فيها (ليست نشيطة) تتمتع بالحياة، لذلك لم يبرز عندهم سوى جنسين وحسب، وكذا في الطبيعة جنسان"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Lectures on the Comparative Grammar, by. W. Wright. P. 131.

ويغلب على ظني أن الساميين وضعوا في البدء اسماً واحداً لكلا الجنسين، فالإبل للمذكر والمؤنث، والعافر للمذكر والمؤنث، والطفل للمذكر والمؤنث؛ ولكن بعد أن ارتقت حياتهم وتوسعت آفاقهم. صاروا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وأخرى للمؤنث.

ولهذا الافتراض ما يناصره من تجارب الإنسان ومنطق الأشياء، إذ إن التطور يبدأ من التبسيط إلى المركب؛ لأن التمييز والتصنيف مراحل متطورة في التفكير المجرد، الذي يعد شكلاً من المعرفة أكثر تعقيداً، ويعكس العالم وعملياته على نحو أكثر عمقاً وكماًلاً بالمقارنة مع المعرفة الحسية. فالانتقال من المعرفة الحسية إلى الفكر المجرد يمثل قفزة نوعية في تطور اللغة، لأنه تطور من معرفة الوقائع إلى معرفة تفصيلات أكثر عمقاً.

لم يكن اختراع مفردة للمؤنث وأخرى للمذكر أمراً يسيراً في ظل عناء الإنسان اليومي وهو يواجه صراع بينته بحيواناتها الضارية وبرودتها القارسة، لأن انتحاء هذه الوجهة - بالضرورة - سيضخم معجمه، ويعني النفس لابتداع ألفاظ ملائمة للحدث من المسميات. وقد تنبه بهاء الدين بن النحاس في (التعليقة على المقرئ) إلى هذا الأمر، فقال:

"كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ مؤنث غير لفظ المذكر، كما قالوا: عير، وأتان، وجذّي، وعناق، وحمل، ورخل، وحصان، وحجر، إلى غير ذلك.

لكنهم خشوا أن تكثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاقتصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث تارة في الصفة، كضارب وضاربة، وتارة في الاسم، كامرئ وامرأة، ومرء وامرأة في الحقيقي، وبلد



وبلدة. ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصاً على البيان، فقالوا: كَبَشٌ وَنَعَجَةٌ وَجَمَلٌ وَنَاقَةٌ، وبلدٌ ومدينة<sup>1</sup>. وأثنى جرير (Gruber) على هذا التصنيف فرأى أن: "الأفضل للغة أن تتضمن طُرُقاً اشتقاقية للحصول على كلمات جديدة بدلاً من اللجوء إلى كلمات جديدة تماماً. إذ إنَّ الكلمة الجديدة أكثر كلفة للغة، وتتطلب مزيداً من الروابط بين أجزاء الكلام وتقسيماته الفرعية، وتصنيفاته ذات الصلة بهذه الكلمة"<sup>2</sup>.

اقتصرت اللغات السامية في تصنيفها للجنس على قسمين، ولم تُشَقِّق قِسْماً ثالثاً للمحايد، بل توزعت مادة المحايد (المجازي) على المذكر والمؤنث. فهل اتخذت اللغات الأخرى نهج السامية في التصنيف، أم انتحت سِرْعَةً أخرى؟ لعل في الإلماعات اللاحقة إجابة عن التسأل.

### الجنس في اللغات الهند أوروبية:

يذكر بروغمان (Brugmann) "أنَّ في اللغات الهند أوروبية طريقتين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة (التي تقع عليها الحركات نفسها: فتحة، ضمة، كسرة). ولكن الحركات تختلف ومثالها كلمة deus التي تعني إله، dea التي تعني إلهة (مؤنث إله). أما فيما يتعلق بالجنس القواعدي فإنه لا توجد إلا طريقة واحدة للتفريق بين المذكر والمؤنث، ألا وهي: استخدام حركات مختلفة في نهايات الكلمات، مثل anima : animus في اللغة اللاتينية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي: الأشباه والنظائر، 37/1.

<sup>2</sup> Function of lexicon, by Gruber.P. 113.

<sup>3</sup> Grammatical Gender, by M.II.Ibrahim, p. 33

يرى بلومفيلد (Bloomfield) " أن تصنيفات الجنس في معظم اللغات الهند أوروبية لا تتفق في شيء في العالم العملي"<sup>1</sup>.  
 ويضيف: "يبدو أنه لا توجد قاعدة أو مقياس عملي يمكن بواسطته تحديد الجنس في الألمانية، أو الفرنسية، أو اللاتينية"<sup>2</sup>.  
 لم تستقر اللغات الهندأوروبية على حال في تعاطيها مع الجنس، بل طرأ عليها تغيرات عديدة خلال العصور، ففي تاريخ اللغات الرومانية والجرمانية، والكلتية، وفي الفرنسية كثيراً ما جرت نهاية التنكير أو التأنيث معها الجنس المقابل لها، يقع ذلك إلى درجة أن عدداً كبيراً من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنثة، التي تعدّها اللغة الصحيحة مذكرة حتى يومنا هذا استعملت أو مازالت تستعمل في اللغة الدارجة على أنها مؤنثة، ولا سيما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع أصحابها بالأداة المؤنثة مثل الكلمات "exercice" "تمرين" و "Orage" عاصفة، و "ouvrage" "عمل".  
 بل إن الكلمتين prophete "نبي" و "pape" "بابا" استعملتا مؤنثتين في العصور الوسطى بسبب النهاية المؤنثة في آخرهما. وهذا يُرينا مقدار اختلاف الجنس الطبيعي عن الجنس النحوي"<sup>3</sup>.  
 إن كانت اللغات الهندأوروبية قد قسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد، فإنّ هذا النظام بدأ يختفي من بعض اللغات، مثل: الفارسية، وفقد الجنس مغزاه باعتباره تصنيفاً قواعدياً، ولم يبق من النظام القديم آثار سوى تلك الموجودة في الضمائر كما هو الحال في الإنجليزية.

<sup>1</sup> Language, by Bloomfield, P. 271.

<sup>2</sup> Ibid P 280.

<sup>3</sup> فريش: اللغة ، ص 127.

وانخفض هذا التصنيف من نظام ثلاثي إلى ثنائي كما هو في اللغات الرومانية. فيما حافظت على النظام الثلاثي بعض اللغات، مثل: الألمانية، والسلافية\*.

إنَّ تصنيف التذكير والتأنيث يختلف من لغة إلى أخرى لاعتبارات ثانوية في نظام اللغة ذاتها، فبعض التقسيمات مرده الصَّغَر والكِبَر، أو القوة والضعف، أو الخشونة واللين.

"ففي لغة بورما أربع عشرة جهة تقسيمية، فالأشياء تنقسم باعتبار التسطح والفرطحة، والطول، وكونها للنقل، والحيوانات، والمجموعات، والمركبات، والكهنة والسوقة، وفيها اعتبار تقسمي خاص لأمرأه القصص وأميراته"<sup>1</sup>.

"ويُصنَّف الجنس في لغة Abxaz (وهي إحدى اللغات القوقازية) وفق

ثلاث فئات، هي:

– كائنات حية مذكرة.

– كائنات حية مؤنثة.

– أشياء غير حية.

وتشمل هذه الفئات الثلاث زيادات توافقية معينة، وتتضمن هذه الزيادات: الأمامية، والخلفية والداخلية، ولكن في بعض السياقات، مثل التوافق بين الفعل والاسم يتم تقليص هذه الفئات الثلاث إلى فئتين، هما: الفئة المذكرة، والفئة المؤنثة<sup>2</sup>.

"وتتميز لغة الألجونكين (Algonquin) بين جنس حي، وجنس غير حي، ولا يههما بعد ذلك ما يدخل تحت كل واحد من الجنسين من أشياء، فقد

\* سلافية: لغة تنتمي إلى الفرع السلافي الجنوبي من المجموعة السلافية ضمن العائلة الهندية الأوروبية، وهي من اللغات المنتمية إلى يوغسلافيا. ينظر: محمد علي الحولي، معجم علم اللغة النظري، ص 260-261.

<sup>1</sup> تمام حسنة: منهج البحث في اللغة، ص 250.

<sup>2</sup> Grammaire Comparée des kabgyes Caucasiennes, by Dumézil, pp. 2-3.

تضع الألوونكن بين الأشياء المدلول عليها بالجنس الحي إلى جانب الحيوان، الأشجار، الأحجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والرعء، والتلج، والقمر، والخبز، والولاعة ... .

وتطلق اللغات في الميدان الإفريقي على الجنس اسم "الطبقة"، فاللغات البنطية يسيطر عليها وجود "الطبقات" التي تمتاز كل منها بلاصفة خاصة، وعليها توزع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.

ويحل (فندريس) ذلك بأنه محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوعة التي يعبر عنها بواسطة الأسماء، وأغلب الظن أن هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن السابقين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية<sup>1</sup>.

فالتذكير والتأنيث تطريز اجتماعي، تدخل تصنيفاته سياقات متباينة المسارب تمتع من تفكير الجماعة اللغوية وتصوراتها عن الكون والأشياء.

### تصنيف الجنس في العربية:

تميز العربية بين الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير: "خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور ونكورة، وذكران، ويوم منكر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.

وقول ذكر: صلب متين، وشعر نكر: فحل ورجل ذكر، إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً ألباً، ومطر ذكر: شديد وابل ...<sup>2</sup>.

والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأنث: جمع إناث يقال للرجل: أنثت تانيثاً أي إئت له، ولم تشدد.

<sup>1</sup> ينظر محاميس: اللغة، ص 130-132.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "ذكر".

### والتأنيث خلاف التذكير.

وبلد أنيث: لئن سهل، حكاه ابن الأعرابي، وأرض مِثْنَات وأنِيثَة سهلة مَنبِتَة. خليفة بالنبات، ليست بغليظة.

وزعم "ابن الأعرابي" أن المرأة إنما سُميت أنثى من البلد الأنثى، قال: لأن المرأة ألين من الرجل، وسُميت أنثى للينها<sup>1</sup>.

فالتذكير تبعاً لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة، والأتفة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج والخصب والإنبات. ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أن التذكير أصل، والتأنيث ثان، وهذا ما هجس به سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً ..."<sup>2</sup>.

لعل هذا الفهم النحوي يترسم "قصة الخلق الأولى / خلق آدم، واشتقاق حواء الأنثى من ضلعه، فهما من نفس واحدة وفقاً لما جاء في القرآن: (يا أيها الناس، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً)<sup>3</sup>.

فكما أن الذكر أول، وهو أصل الخليفة. والأنثى ثانٍ مُجْتَرَح من الذكر، كذلك المذكر في اللغة عمدة الجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المذكر. لذا ظل المذكر بغير علامة للتذكير، "فليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألحقوا للمؤنث علامة في الأغلب، لأنه فرع التذكير"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "أنث".

<sup>2</sup> سيبويه: الكتاب، 241/3.

<sup>3</sup> سورة النساء: 1.

<sup>4</sup> بظرة الفراء: المقتضب 35/3، الفراهيدي: المعجم 291، الفراء: المقتضب 223.

## أضرب المذكر والمؤنث:

يتوزع الجنس في العربية على صنفين رئيسين، هما:

1. الحقيقي
2. المجازي.

"أما الحقيقي فما كان في الرجل والمرأة، وجميع الحيوان، لأنك لو سميت رجلاً "طلحة" لخبّرت عنه كما يخبّر إذا كان اسمه مذكراً، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باسم مذكر لخبّرت عنها كما كنت تخبّر عنها واسمها مؤنث"<sup>1</sup>.

وهذا الصنف يُعرف قياساً وسماعاً وطبائعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.

وقد حدّد المذكر الحقيقي بأنه "ما كان من الحيوان مثل الذكور"<sup>2</sup>.

أما المؤنث الحقيقي فهو "ما بإزائه ذكر في الحيوان"<sup>3</sup>.

لعل معيار العلماء في هذا التصنيف كان منضبطاً واضحاً؛ لأنّ ذلك مرتبط بالجانب المادي، يقول ابن يعيش: "المؤنث الحقيقي والمذكر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان وذلك ما كان للمذكر فيه فرج خلاف فرج الأنثى، كالرجل والمرأة"<sup>4</sup>.

وفصل "ابن السراج" بأن المؤنث الحقيقي يأتي على ضربين:

- بعلامة

- وغير علامة"<sup>5</sup>.

والعاري من العلامة يُعرف تأنيثه:

<sup>1</sup> المذكر: المنتخب 3/348.

<sup>2</sup> المصيري: القيصرة والتذكير، 613/2.

<sup>3</sup> الزمخشري: المغفل، 237.

<sup>4</sup> ابن يعيش: شرح المغفل، 62/5.

<sup>5</sup> ابن السراج: الأصول في النحو، 407/2.

بالإشارة إلى مسماء في القرب بـ "ذي"، وفي البعد بـ "تلك"، ويساوي الاستدلال بالإشارة الاستدلال بالضمير، وبالوصف، وبالخبر، وبالحال، وبسقوط التاء في العدد من الثلاثة إلى العشرة. وبظهور التاء في التصغير إن كان المصغر ثلاثياً<sup>1</sup>.

أما الصنف الثاني: فهو المجازي (المذكر والمؤنث غير الحقيقيين). وهو خلاف ما ذكر أنفأ، إذ لا مميز ولا ضابط ينتظمانه، لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، وألحق بالمذكر والمؤنث على سبيل "المجاز"، فهو موقوف على الوضع والاصطلاح.

وهذا الصنف أشكل على اللغويين والنحويين، فأفردوا له المصنفات والرسائل؛ رغبة في ضبطه وتقييده، حتى ليخال للخاطر الأول أن مسألة التذكير والتأنيث قد خصّصت للمجازي، فإذا مرّ اللغويون والنحويون بالمذكر والمؤنث الحقيقيين، مروا سراعاً، ولم يطيلوا المكث في مدارس هذا الضرب، وكأن الجنس الحقيقي معلوم من اللغة بالضرورة، وإذا همّوا بمعالجة المجازي أفاضوا فيه مقارنة وتعليلاً وتصنيفاً.

ولا تتريب في ذلك، فمعرفة التذكير والتأنيث عُدّة الفصيح، بل تتقدم على معرفة الإعراب في العربية، وهذا ما قرّره أبو حاتم المجستاني: "أول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال والنعث قياساً وحكاية، ومعرفة التأنيث والتذكير ألزم من معرفة الإعراب"<sup>2</sup>. وينضاف إلى الصنفين الرئيسين للجنس في العربية: المذكر والمؤنث الحكمي، والمذكر والمؤنث التأويلي\*.

<sup>1</sup> ابن مالك: شرح غرّة المفاتيح وعُدة للاعتناء، ص 826-827.

<sup>2</sup> أبو حاتم المجستاني: المذكر والمؤنث، 35-36.

- يُعرف المؤنث الحُكمي بأنه ما كانت صيغته مذكّرة، ولكنها أُضيفت إلى مؤنث فاكْتسبت التأنيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)<sup>1</sup>، فكلمة "كل" مذكّرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنث "نفس"<sup>2</sup>.
- المذكر الحُكمي: وهو ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكنها أُضيفت إلى مذكر فاكْتسبت التذكير من إضافته إلى اسم مذكر، كقول الشاعر:  
إِنارةَ العقلِ مكسوفٌ بطوعِ هوى وعقلِ عاصي الهوى يزداد تنويراً<sup>3</sup>  
فكلمة "إنارة" مؤنثة، ولكنها اكتسبت التذكير بإضافتها إلى العقل، فجاءت "مكسوفاً" مذكّرة لذلك.
- المؤنث التأويلي: ما كانت صيغته مذكّرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد لسبب بلاغي تأويلها بكلمة مؤنثة تؤدي معناها، مثال: "أنتي كتاب أسرُ بها ... يريدون: رسالة"، ومثل قولهم: هذه الحرف: نعت يريدون به الكلمة<sup>4</sup>.
- المذكر التأويلي: ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكن اكتسبت التذكير بتأويلها باسم مذكر، نحو قولك: " (ثلاثة أنفس)، والنفس مؤنثة، ولكن تم تأويلها بالشخص"<sup>5</sup> وهو مذكر.

<sup>1</sup> استمرت مُصطلحي "المذكر الحكمي" و "التأويلي" من: عيسى حسن: البحر الرائق، 589/4.

<sup>2</sup> سورة ق: 21.

<sup>3</sup> قصاصي: فقه اللغة وشر العربية، ص 332.

<sup>4</sup> البيت بلا نسبة في معنى اللبيب لابن هشام 512/2، وفي الأشباه والنظائر للسيوطي 263/5 : وفي عزارة الأدب البغدادي: 106/5، 227/4.

<sup>5</sup> ابن جني: الخصائص، 418/2.

<sup>5</sup> قصاصي: فقه اللغة وشر العربية، ص 332 .



### أنظار العلماء في تصنيف الجنس:

لم يقتصر الاهتمام بمسألة التذكير والتأنيث على حقبة دون أخرى، بل ظل الجهد موصولاً قديماً وحديثاً، فبذل السابقون الوسع كله لمدارستها، وتبعهم جيل من المستشرقين والمحدثين العرب؛ رغبة في استجلاء مسألة الجنس في اللغة، والوقوف إلى كنهها.

إنّ هذه الإلماعات التي ظفرت بها مسألة الجنس، أسهمت في تنوع الرؤى، وتفسير بعض ما اعتورها. وقد اقتصت هذه المقاربات بمسألة دينية وغيبية، وانتحى بعضها وجهة أسطورية وذهنية مجردة. وأحسب أن عرض بعض ما قيل في المسألة يجلي بواطنها.

■ رأي (A. Guny, M. Feghali)

"نشر هذان العالمان الفرنسيان دراسة حول مسألة الجنس في اللغات السامية، اعتمدا فيها أفكار ميه (Meillet) حول تطور الجنس في اللغات الهند أوروبية القائلة: بأنّ أول تقسيم للأسماء هو تقسيمها إلى حية وغير حية. ويرى العالمان أنّ فئة الكلمات التي تعود على الأحياء تنقسم إلى مذكر ومؤنث، وأنّ الفئة العائدة على غير الأحياء أصبح معظمها مؤنثاً، لكن بعضها، احتفظ بالتذكير.

ويذهب هذان العالمان إلى أنّ جميع التطورات هذه حدثت قبل أن تنقسم السامية إلى لغات مفردة<sup>1</sup>.

■ رأي (E.A. Sepeiser)

يقرّر (سبيزر) في مقاله حول دراسات في الأنماط السامية: "أنّ ضمائر الاستفهام محتفظة بالصورة للغات السامية، فضمير الاستفهام للشخص

<sup>1</sup> Grammatical Gender, by, M.H. Ibrahim, PP. 42-43.

هو ضمير واحد، وذو شكل واحد كذلك للمذكر والمؤنث، ففي الضمائر الشخصية لا يوجد تفريق في الجنسين عندما يكون الضمير هو ضمير المتكلم؛ لأن جنس المتكلم واضح في جميع الأوقات للمستمعين<sup>1</sup>.

■ رأي (Louis. H. Gray)

يذكر "لويس. هـ. جراي" أنه يوجد نوعان فقط من الجنس على امتداد الحقبة الزمنية للغات السامية، وفي أغلب الأحيان فإن ذكور الكائنات الحية الفعالة والأشياء التي يأخذها العقل الفطري بعين الرعاية مذكّرة، ومن وجهة أخرى فإن إناث الكائنات الحية والأشياء التي تُعْذُّها الفطرة أنثى كذلك الأسماء المجردة وصيغ التحقير...<sup>2</sup>.

"ويبدو أن ملازمة اللواحق للأنثى إشارة إلى كونه كائناً غير نشيط في ذاته، لا بل غامض واعم، وغير مكتسب أي فعالية. أما الاسم المذكر فيُعْذُّ كائناً حياً نشيطاً.

وتوزع "المحايد" طبقاً لهذه النظرة. فما هو سلبى يُلصَق بالكائنات الأنثوية؛ لأن السلبية إحدى خصائص الإناث، مقارنة بنشاط الذكر (أي أن الأنثى لم يكن يشار إليها بالطريقة التي يشار فيها إلى الذكر بسبب نشاطه ومكانته في المجتمع)<sup>3</sup>.

■ رأي (Albrecht)

يرى الباحث الألماني بالساميات "ألبريخت" "أن التذكير يتم إطلاقه في العبرية، واللغات الأخرى، على كل شيء خطر، ومتوحش وشجاع، ومحترم،

<sup>1</sup> Studies in Semitic Formatives, by E.A. Sepeiser, P. 33.

<sup>2</sup> An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Louis. H. Gray. P. 48.

<sup>3</sup> Ibid, PP. 50-51.

وعظيم وقوي، وذي نفوذ. فيما يُطلق التأنيث على ما هو أمومي، وإنتاجي، ومتورّد، ولطيف، وضعيف<sup>1</sup>.

■ رأي (Moscati)

يذكر "موسكاتي" أن تمييز اللغات السامية بين نوعين من الجنس: المذكر والمؤنث، وأن الذكر لا يصحبه مقطع خاص يوضع في نهايته، كما هو الحال في المؤنث، إن هذا التمييز يعزّز الاحتمال بأن أصل ذلك عائد إلى نظام الطبقات<sup>2</sup>.

■ رأي (Wensinck)

يعتقد "فنسينك" أن اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث إنما تأثرت في هذا بعوامل دينية، وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يرون أن في المرأة غموضاً وسحراً، وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم، ثم ضمّوا إلى المرأة كل الظواهر الطبيعية التي خفي عليهم تفسيرها<sup>3</sup>.

يُلاحظ من آراء المستشرق أنهما تكوّبت حول مفاصل رئيسة هي:

- أن الساميين صنفوا المذكر والمؤنث بجامع الفعالية أو السلبية.
- تأثّر الساميون في تصنيفهم للجنس بنظام الطبقات.
- كان للسحر والعوامل الدينية تأثير في توزيع الجنس على الكائنات.
- ارتبط التصنيف عند الساميين بالخيال الفعال والنشيط.

<sup>1</sup> Hebrew Grammar, by E. Kantzsch, Gesenius, P. 391.

<sup>2</sup> An Introduction to the Comparative Grammar of the Semite Language, P 84.

<sup>3</sup> إبراهيم أبيض: من أسرار اللغة، ص 148.

أحسب أن المستشرقين قد صدروا في طروحاتهم هذه عما أجروه من دراسات (الإناسة) للغات الهندوأوروبية، ومن ثم أسقطت هذه النتائج على اللغات السامية مظنة العمق والمشاكلة، بيد أن مسيرة الإنسان في الأحقاب السالفة لم تتطابق لدى جميع الأمم، بل اختلفت في نواح تبعاً لعوامل الزمان والمكان، وهذا ما تقرره دراسات الإناسة.

يرى (البريخت) أن الساميين أطلقوا التذكير على كل شيء خطر ومتوحش ... والتأنيث على كل شيء أمومي، وإنتاجي، وضعيف ...

يبدو الرأي طريفاً للخاطر الأول، ولكنه لا يطرد، فهناك كلمات كثيرة تدل على الوحشية والقوة والخطورة ارتبطت بالمؤنث، كالحرب، والصحراء والسلاح. أما من أحال التقسيم عند الساميين على أساس الطبقات وأقل القيمة، فإن مزيداً من لطف النظر في حفريات المعرفة (أركيولوجيا المعرفة) لدى الساميين عامة وللعرب خاصة يقفنا إلى أن هذه الأقوام قد مرّت بالمرحلة الأمومية (المتريكية)، إذ طغت الأنثى على عبادة الذكر، فهي التي اكتشفت الزراعة في العصور الحجرية الوسيطة، وهي التي كانت تنهض بأعبائها في بادئ الأمر؛ كونها أكثر التصاقاً بالأرض من الرجل الذي كان يسعى وراء الطرائد.

ونمذنا البيانات الأثرية في المشرق العربي بأدلة على مركز الأم في هذه المجتمعات، وكيف أن الإله الذكر ظل خاضعاً للآلهة الكبرى، "لأن مفهوم الأبوة كان ما يزال غامضاً مع غموض الرجل في عملية التلقيح ...".<sup>1</sup>

فكيف ارتبطت - كما رأى بعض المستشرقين - المرأة ولواحق التأنيث بأقل القيمة، وقد انتسب عرب ما قبل الإسلام إلى قبائل سُمّيت بأسماء مؤنثة؟. بئس إن كثيراً من آلهتهم كانت مؤنثة كاللآت، والعزى، ومناة.

<sup>1</sup> يطرد علي الشوند: حونة في أقاليم شبة الأسطورة، ص 8-15.

- The Sacred Mushroom and the Cross, by John Allegro, P. 24.

لم تفرد الأنثى بالواحد، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدت  
دلالة المذكر نحو: "رجل أمانة (يأمن الناس). وضحكة (يضحك من الناس)  
وهزأة، وهنرة، ولومة ...".<sup>1</sup>

أحال بعض المستشرقين التصنيف إلى السحر والغموض اللذين  
يكتنفان المرأة، فخلع على كل غامض وخفي صيغة التأنيث، فأي غموض  
يعتبر الأرض التي نتعاطاها صباح مساء، فالفناها وألفتنا؟  
ولماذا لم يطلق الساميون - تأسيساً بهذه الوجهة - التأنيث على  
البحر، والإعصار والجبال، والرعد، والبرق؟

لعل هذا الانشعاب في تفسير الظاهرة صادر عن عدم التناظر بين  
الجنس الطبيعي والجنس النحوي، واقتصار اللغات السامية على صنفين  
رئيسيين لتصنيف الجنس.

أشرت في البدء أن مسألة الجنس حظيت بأنظار عديدة قديماً وحديثاً،  
وقد أومأت إلى جهود السابقين والمستشرقين، ولعل عرضاً لبعض جهود  
المحدثين العرب يحقق ما نهجس به "بأن مسألة الجنس قد حظيت باهتمام  
ورعاية من الدارسين عبر تراسل الدهور".

■ رأي إبراهيم أنيس:

يتلخص رأي إبراهيم أنيس في "أن ظاهرة التأنيث والتذكير تتجه نحو  
الصلة العقلية بين الأسماء ومحلولاتها. فالأسماء المجازية في العربية تميل في  
تطورها إلى الاستقرار، مثل: الطريق، والعسل، والروح، والخمر.  
ويؤيد ذلك اللغات السامية، إذ إن بعض الكلمات كانت في الأصل  
مؤنثة ثم أصبحت مجازية التذكير والتأنيث، كالشمس في العبرية والآرامية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن الأثير: المذكر والمؤنث، ص 567-592.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أنَّ التطور في ظاهرة التأنيث يتجه نحو الصلة العقلية المنطقية، فأين المنطق حينما تتباين اللغات داخل الأسرة الواحدة - كاللغات السامية - حول العديد من المسميات؟ فالقمر في العربية مذكر، وفي العبرية مؤنث، والحرثة مؤنثة في العربية، مذكّرة في السريانية، والبقر في العبرية يذكّر ويؤنث أما العربية فتذكّرها، والسريانية تؤنثها.

ما ذكره إبراهيم أنيس أنَّ استقرار الحال على التذكير، لا يُؤخذ على إطلاقه، فإذا كانت الخمر، والطريق، والسكين ... وغيرها من الألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث، فإنَّ العامة تستعملها استعمالاً آخر، فتقول: هذه خمرة لذیذة، وطريق وعُرة، وسكينة حادة.

#### ■ رأي عصام نور الدين:

قدّم عصام نور الدين عدداً من المصنفات عُتيت بمسألة الجنس في العربية، نحو: "مميزات التذكير والتأنيث"، و"مصطلح التذكير والتأنيث"، و"مصطلح المحايد" ... يذكر عصام نور الدين في أثناء حديثه عن "المحايد": "العائق: يذكّر (ابن جني) الوجهين، ولكنه يقدّم التذكير بقوله: العائق يذكّر ويؤنث، ومع ذلك فأنا أذهب إلى أنَّ التذكير هو الأصل، أما التأنيث فدفعُ بعضهم إلى القول به انحرافاً لغوياً قاله أحد الفصحاء، أو أنَّ بعضهم ادّعاء ليسوع زلة لسان، أو خطأ وقع فيه، فالوجه أن يستعمل التذكير، ويُهمل التأنيث.

أما التأنيث فلا يعدو كونه لغوية، أو انحرافاً لغوياً لا يُعندُّ به، حتى لو كان صحيحاً فيجب عدم الوقوف عنده لمخالفته روح اللغة واتجاهها التطوري.

<sup>1</sup> يظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 146 - ص 147.

والقفا يذكر ويؤنث: لكن قارئ المادة في نصوص اللغويين، يرى أن التذكير هو الأصل، وأن التأنيث هو لهجة وإن شئت هو انحراف لغوي لقبيلة لا يعتد بكلامها...

يخلص الباحث إلى القول: فمذهب اللغة التطوري كما نفترضه يذهب إلى التذكير، ولا يعتد بالتأنيث الذي إن وجد فلا يعدو كونه انحرافاً لغوياً لا تبنى عليه قاعدة ... عدا ما قد يقع باللغة من الغموض والاضطراب في حال الأخذ به ...<sup>1</sup>.

يصدر عصام نور الدين في وجهته عن مقولة تقرّر أصالة التذكير للمحايد (المجازي من المذكر والمؤنث)، وأن التأنيث شذوذ عن القاعدة. لو صح ما انتحاه الباحث، فلم عني السابقون واللاحقون أنفسهم في البحث والتقرير للخلوص بضابط جامع، أو معيار مطرد للمجازي من المذكر والمؤنث (المحايد)؟

أظن أن حسم ما أشكل من ظواهر يقتضي تروياً وأناة، فكيف يعتد عصام نور الدين التأنيث انحرافاً لغوياً، أو هو لغية، وقد جاء على لسان قبيلة "عكل" وهي من القبائل الفصيحة التي يستشهد بكلامها في الدرس اللغوي. ما ذكره الباحث باستقرار المحايد على التذكير، ومثل على ذلك بالعائق والقفا، لا يتطابق والواقع اللغوي.

ذكر الأصمعي: "القفا مؤنثة، ولا يذكرها أحد"<sup>2</sup>.

ومن العلماء من أجاز التذكير والتأنيث، ولم يرجح وجهاً دون آخر. لقد قمت بإحصاء للمذكر والمؤنث المجازيين في كتب التذكير والتأنيث، وانتهيت إلى عدد من الإشارات:

<sup>1</sup> عصام نور الدين: "أغاييد" أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، ج (7-8) 1988 م، من 32-34.

<sup>2</sup> السمعاني: المذكر والمؤنث، ص 113.

- ما يذكر من أعضاء الإنسان 49 مفردة
- ما يؤنث من أعضاء الإنسان 56 مفردة
- ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان 19 مفردة
- ما يذكر من مائر الأشياء 58 مفردة
- ما يؤنث من سائر الأشياء 108 مفردة
- ما يؤنث ويذكر من سائر الأشياء 91 مفردة

فهل بمكنتنا رد 164 مفردة مؤنثة، وعدّها انحرافاً لغوياً على الرغم من أنها سُمعت من عرب فصحاء؟  
فالرغبة في التيسير غاية تُرْجى، بيد أنها معجزة المؤونة ما لم تتسوق والواقع اللغوي. فمنهج اللغة التطوري ينطلق من روح اللغة وواقعها، وينأى عن الانطباع المُجرّد.

#### الجنس الطبيعي والجنس اللغوي:

قُسمت العربية لجنس إلى مذكر ومؤنث، وما لم تنتظم في المذكر والمؤنث الحقيقيين وزّع كذلك على المذكر والمؤنث.  
وأفضت هذه الطريقة إلى فوضى واضطراب؛ لأنّ التذكير والتأنيث من خصائص الأحياء، فإنّ أطلق على غير ذلك فعلى سبيل المجاز، ذكر ابن رشد:

"التذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يُتجوّز في ذلك في بعض الألسنة فيعبّر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنثة، وعن بعضها بالتّي أشكالها أشكال مذكرة. وفي بعض الألسنة ليس يُلَفَى فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص، كمثّل ما حكى أنه يوجد في لسان



الفرس، وهذا يوجد في الأسماء والحروف، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكر والمؤنث، على ما حكى أنه يوجد كذلك في اليونانية<sup>1</sup>.  
إنّ اقتصار اللغة على جنسين وحسب قد أعقب إشكالا خالط هذه المسألة، لذا تباينت آراء الدارسين حول هذا الضرب من الأسماء، فمنهم من قال بتذكير لفظة ماء ومنهم من مال إلى تأنيثها، وبعضهم أجاز الوجهين، وكل فريق يستند فيما ذهب إليه على ما روي عن العرب.

- فالأضحى: تذكره قيس عيلان. وتؤنثه تميم. قال الفراء: "اجتمع عندي أعرابيان مسنان قيسي وتميمي، وقد جاوز كل منهما التسعين فسألتهما عن الأضحى، فقال التميمي: نثت الأضحى. وقال القيسي: ذنا الأضحى"<sup>2</sup>.

- الثمر: تميم تقول هو الثمر فتذكر، وأهل الحجاز يقولون هي الثمر فتؤنث.

- السُّوق: جاء في الصحاح: "قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط، والسييل، والسُّوق، والزقاق، والكلاء - وهو سوق البصرة - وبنو تميم يذكرون هذا كله"<sup>3</sup>.

- الشعير: يذكره أهل نجد، ويؤنثه غيرهم"<sup>4</sup>.

- العنق: تميم وربيعة يقولون: هو العنق بضم العين وإسكان النون، وأهل الحجاز يقولون: هي العنق بضم العين والنون، وبنو أسد يقولون: هو العنق بضم العين والنون ويذكرون"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن رشد: تلخيص الخطابة، 275.

<sup>2</sup> ابن السيد البعلبكي: الخلل في إصلاح الخلل، 43/1.

<sup>3</sup> الجوهري: الصحاح مادة "وَعَقَ".

<sup>4</sup> ابن الفسوي: الفذكر والمؤنث، ص 86.

<sup>5</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 73.

أرى أن انتفاء صفة الذكورة والأنوثة الحقيقيتين عن هذه الألفاظ وغيرها أفضى إلى حالة من التشرذم والتشظي، وقد صرح بذلك الفراء "العرب تجترئ على تذكير المؤنث، إذا لم تكن فيه الهاء"<sup>1</sup>.

لم يكن التباين اللّهجي في تصنيف الجنس وقفاً على العربية، بل نلاحظ هذه الظاهرة في اللغات السامية. فما العلة التي جعلت الشمس مؤنثة، والقمر مذكراً كما في العربية؟<sup>2</sup> على الرغم من تأنيث العبرية للشمس تارة وتذكيرها تارة أخرى sémes ، أما القمر في العبرية فمؤنث libana.

والشمس في الأكادية مذكرة šamša، وكذلك في الآرامية.

والبطن في العربية مذكر، وفي العبرية مؤنث bēten.

والكبد في العربية مؤنث، وكذلك في السريانية kabdā، لكنه في العبرية مذكر kabed<sup>3</sup>.

إنّ هذا التباين بين الأسرة اللغوية الواحدة، أسهم في ورود ألفاظ في هذه اللغات تؤنث وتذكر في الآن ذاته.

<sup>1</sup> الفراء المذكر والمؤنث، ص 81.

<sup>2</sup> "أورد أبو حيان لمؤيدى سؤالاً حول علة تأنيث العرب للشمس وتذكيرهم للقمر واعتلق المتحريين على عكس ذلك وهو تذكير الشمس وتأنيث القمر فأجابهم مسكويه بقوله: "أما النحويون فلا يعللون هذه الأمور، ويذكرون أن قسماً المذكر بالحقبة ربما أتته العرب والمؤنث بالحقبة ربما ذكرته العرب، فمن ذلك أن الآلة من الرقعة بعينها التي هي سبب تأنيث كل ما يؤنث هي مذكر عند العرب، وأما آلة الرجل فلها اسم مؤنث، ولكن الشمس التي قصد السائل قصدها بعينها، فإن أظن السبب في تأنيث العرب ليها أنهم كانوا يعظمون في الكواكب الشريفة لها بنات الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وكل ما كان منها أشرف عندهم عظمه، وقد سُموا الشمس عظمة باسم الآلة، فإن الآلة اسم من أسماءها فيحوز أن يكونوا لأنوها لهذا الاسم، ولاعتقادهم لها بنت من البنات، بل هي أعظمهن عندهم". الموامل والشوامل - ص 266-268.

<sup>3</sup> ينظر: مجموعة من المؤلفين: نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي المحرومي وعبد الجبار المطلي، ص 145 - ص 148.

وفي العربية فيض من الألفاظ تذكر وتؤنث نحوه:

- الأتعم: قال يونس والأخفش، وأبو بكر بن الأنباري<sup>1</sup>، وأبو البركات الأنباري<sup>2</sup> إن الأتعم تذكر وتؤنث.
- الجحيم: هو النار المتلظية، قالوا: الجحيم: يذكر ويؤنث<sup>3</sup>.
- السبيل: يذكر ويؤنث<sup>4</sup>.
- السلطان: يذكر ويؤنث<sup>5</sup>.
- الصراط: أهل الحجاز يؤنثون الصراط، وبنو تميم يذكرونها<sup>6</sup>.

وفي الحبرية ألفاظ تذكر وتؤنث<sup>7</sup>، منها:

روح وريح	rūwah
طريق	déreh
عظم	ēsem
دراجة	ʾofannāyim
شارع	rihōb
جيش	mahanch
جهنم، ضريح	šī' ōl

<sup>1</sup> المذكر والمؤنث، ص 346.

<sup>2</sup> البتة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 68.

<sup>3</sup> أبو بكر بن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 371.

<sup>4</sup> القفص بن سلامة: محضر المذكر والمؤنث، ص 56.

<sup>5</sup> ابن ميادة: الخصص: 17/ ص 15.

<sup>6</sup> الأخفش: معاني القرآن 1/ ص 17.

<sup>7</sup> See: An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Gray, PP 48-52.

ونجد هذه الظاهرة في الآرامية<sup>1</sup>، نحو:

هواء	hār
سيف، حربة	herbā
قمر	oehrā
روح	ruhā
سماء	semiā

وتشارك السريانية غيرها من اللغات السامية في هذه الظاهرة<sup>2</sup>، مثل:

الروح	rūhā
الشمس	šimšā
القوس	kištā
السماء	smayā
الجمل	gamlā

لعل ما رشح من هذه الإلماعات يفضي إلى أن اللغة لا تسير وفق منطق عقلي في تعاملها مع الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، مما دعا إلى جمع هذه الألفاظ – التي لا تنتمي لها قاعدة – في رسائل ومختصرات حتى تؤخذ رواية وسماعاً؛ لأنّ الإمام بهذه الألفاظ عدّة الألفاظ وشرط من شروط الفصاحة، وهو من تمام معرفة النحو والإعراب. ذكر أبو بكر بن الأنباري:

<sup>1</sup> ينظر: يعقوب أوجين، مناهج الأصول للجلبة في نحو اللغة الآرامية، ص 14-15.

<sup>2</sup> ينظر: إسماعيل عصفرة، ظاهرة التأنيث في اللغة العربية واللغات السامية، ص 20.

"إن من تمام معرفة النحو والأعراب معرفة المذكر والمؤنث لأن من ذكر مؤنثاً أو أنث مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً..."<sup>1</sup>.

لقد أشكلت الألفاظ المجازية في مسألة الجنس على الدارسين؛ لغياب الصلة المادية بينها وبين الجنس النحوي، مما دفع المستشرق "وليم رايت" إلى أفراد صنف ثالث يضم المحايد من الألفاظ، فهو يقسم الجنس في العربية إلى ثلاثة أقسام: مذكر ومؤنث، وأسماء تذكر وتؤنث، وهو ما يدعى بالمشترك الجنسي، وفي اللغات السامية أسماء يطلق عليها المحايد<sup>2</sup>.

ما هجس به "وليم رايت" يعضد المقولة الأنفة أن الجنس النحوي لا يصلح ولا يدل دلالة طبيعية أو عقلية على الجنس الطبيعي.

فلا طائل من الإيغال في بحث ماهية التذكير والتأنيث المجازيين؛ لغياب القرائن الموصلة إلى الحقائق، وكان يتعين أن يقرده لهذا النوع من الألفاظ قسم خاص يسمى بالمحايد، ينتظم المذكر والمؤنث المجازيين؛ رفعاً للبس، وأدعى للتقعيد.

<sup>1</sup> المذكر والمؤنث، ص 87.

<sup>2</sup> The grammar of the Arabic Language, by, W. Wright, P. 1/177.

## الثقافة، اللغة، التحيز:

شغلت القضايا الوجودية قسطاً وفيراً من النظر والدرس، فأولها الإنسان منذ البدء عنايته تحت مسميات عديدة وأشكال متنوعة، منها الأسطوري والفلسفي، ومنها الاجتماعي. فصار يستبطن عوالمها لاكتناء هذه المعادلة المتكاملة تارة، والمتباينة تارة أخرى.

وربما كانت ثنائية الذكر/ والأنثى من أكثر القضايا إلحاحاً في التفكير والمناقشة، وستظل تملأ الدنيا وتشغل الناس ما بقي التنافس؛ لأنطوائها على تداعيات ماضوية، فقد رافقت وجود الإنسان، وأخذت بالتنامي والتشابك لالتباس مفرداتها، وتباين الشريكين في رؤية كل منهما للآخر، وطبيعة الدور المنوط بهما في صياغة الحياة.

لأجل ذلك برزت قضية "التحيز الجنسي"، وتراجعت الدراسات النسوية في سياق تخصصات معرفية متنوعة؛ لتعديل المنطلقات السائدة والأفكار المستكنة عن الذكورة والأنوثة. وتكمن أهمية المراجعة في أنها لا تستقرىء قضية نصف المجتمع، وإنما قضية المجتمع كله منظوراً إليها من زاوية الصياغة الثقافية لمفهوم الجنسين والعلاقة بينهما.

لم تقتصر هذه الدراسات على علم دون آخر، بل انبثرت علوم عديدة لبحث هذه الإشكالية، فعابها علماء اللغة، والاجتماع والإناسة، وانضم إليهم علماء النفس والتربية، والأسلوبية والنقد الأدبي، ولعل ما أذكى هذه القضية هو نهوض حركات نسوية تسعى إلى إقامة المساواة بين الجنسين<sup>1</sup>، وتسليط الضوء على الحيف الذي أعقبته الدهور تجاه المرأة.

<sup>1</sup> يُقصد: أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص 8.

وصاحب الاهتمام بتحرير المرأة العناية بلغتها ورصد الفروق اللغوية بين الجنسين، والوقوف على معالم الجنوسة<sup>7</sup> بوصفها عاملاً تحليلياً يكشف الفرضيات المتحيزة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً.

رأت الحركات النسوية أن التحيز للذكورة مكن الرجال من السيطرة على الأعمال المهمة والوظائف المتحكمة، ومحاولة إقصاء المرأة عن المنافسة، مما حرّمها من فرصة الظهور العام، ومنعها من الحضور في عالم الشهود لتشكل الواقع، فطلبت ثاوية على حواف الذاكرة، فإن همت بالتفكير فعقلها خداج، وإن طمحت بإنجازها منزوع القيمة والأهمية، وإن تحدثت فكلامها ثرثرة ولغو.

إن هذا الترسيم لأدوار الذكر والأنثى ليس من تبعة الحاضر، بل هو وليد الفكر الإنساني عبر ركائمه المعرفي، فقد أطبقت المجتمعات على تفضيل الذكر على الأنثى، واصطبغت بهذا الاعتقاد الأنظار الفكرية، ولا سيما التصنيفات اللغوية، فقسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث، واتخذت من الذكر أصلاً للمؤنث.

ويُستشف من هذا التقسيم خفايا تتجاوز حدود اللغة، لتمتد في سندها إلى بدء التكوين وباكورة الخلق. "فالأصالة والفرعية" التي اتكأت عليها الأجيال للتعاظم مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم، واشتقاق حواء من ضلعه، فهذه القصة وما أسبغ عليها من تحويرات أسطورية

<sup>7</sup> الجنوسة: يعود المفهوم في أصله إلى مصطلح لغوي الذي يشير إلى تقسيم ضمني في النحو القواعدي اللغوي. إذ هو في اللغات الغربية السائدة اليوم مشتق من لفظة قلاونية التي تعني النوع أو الأصل (genus) ثم تمايز سلباً عبر اللغة الفرنسية في مفردة (gender) التي تعني أيضاً النوع أو الجنس، وتمحورت حوله - بعد ذلك - الدراسات السوية في المجالات كافة: السببية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والدينية ... ، وأهل الحركة الأسلمية مثل هذه الدراسات الدعوة التحررية التي تنها الحركات السوية في تركيزها على مفهوم الجنوسة، لكشف الفرضيات المتحيزة المسقة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً. انظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 83-85.

وتوراتية تُعَتَّد المرجع المؤسَّس لأنوار الجنس في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانفجار المعرفي.

لذا أرى أن في استدعاء هذه القصة تجلية لماهية العلاقة بين الذكر والأنثى. تَذكر التوراة: " أنَّ الربَّ الإله خَبَّل آدم من تراب الأرض، ونفخ فيه نسمة حية، فأخذه ووضعها في جنة عدن"<sup>1</sup>.

"وقال الربَّ الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره، فأوقع الربَّ الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحماً، وبنى الربَّ الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، هذه تدعى حواء امرأة؛ لأنها من امرئ أخذت"<sup>2</sup>.

"وكان الربَّ الإله منح آدم وحواء أن يأكلا من شجر الجنة فأكتهما، وألا يقربا من شجرة معينة، فلما أراد إبليس أن يستذلّهما دخل في جوف الحية، فقال لحواء على لسان الحية: ألم يحظر عليكما الله أكل الفاكهة؟ أجابتها حواء: كلا، بل نصحتنا بالابتعاد عن شجرة معينة في وسط الجنة، وإلا كانت عاقبتنا الموت، قالت الحية/ الشيطان: إنَّ فقد خذلكما الله؛ لأنَّ ثمرها لا يسبب الموت بل يُورث الحكمة، إنه يريد أن يبيكما في جهل مُطَبَّق، واقتنعت حواء بأكل الفاكهة، ومارست الإغراء الجنسي لإقناع آدم بأكل الفاكهة"<sup>3</sup>.

وتتابع الرواية التوراتية صياغتها لخروج آدم وحواء من الجنة:

"فبعد أن تناول آدم وحواء من ثمرة المعرفة نظر كل منهما إلى الآخر، فأدركا في الحال أنهما عريانان، عند ذلك قطعاً أوراق الجنة ليصنعا منها لباساً

<sup>1</sup> سفر التكوين، الإصحاح 2/16.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الإصحاح 2/16-24.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 3/1-6.



لهما، فنادى الرب الإله يا آدم، أين أنت؟ قال آدم: أنا هنا يا رب، قال ألا تخرج؟ قال أستحي منك يا رب، فسأله الرب ومن أخبرك أنك عريان. هل أكلت من ثمر الشجرة المحرمة؟ فقال آدم: أعطتني حواء من ثمر الجنة فأكلت، فقال الرب الإله:

يا حواء أنت غررت عبي، فإنك لا تحمليه حملاً إلا كُرْهًا، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً، تلدين أولاداً، وإلى رَجُلِكَ يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت أقوال امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؛ ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وخسكاً تثبت لك، وتأكل عشب الحقل، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود...<sup>1</sup>.

إن مقارنة جوانية لقصة التكوين -حسب الصياغة التوراتية- يقفنا إلى جملة من الإلماعات تتمثل في أن الأسطورة التوراتية تحمل تعليلاً لجملة من الطباع الملازمة للمرأة، فهي معادل موضوعي للمكر، والدهاء، والخطيئة، وهي التي أوقعت الرجل البريء بحبائلها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق مآربها. ويبرز الجنس سلاحاً ملحقاً بالمرأة، لا مناص عنه لكسب معاركها.

- خروج آدم من الجنة - حسب الصياغة التوراتية - سببه المرأة، لذا حُمِلَت خطيئة البشرية، فلولا حواء لم تَخُنْ أنثى زوجها الدهر كله.

- اقترنت المرأة بالحيّة، وهي دلالة رمزية بين حواء التي اشتقت من حي، والحيّة رمز الخبث والدهاء، فكلتا اللفظتين تنضوي تحت جذر واحد "حي".

<sup>1</sup> سفر التكوين: 20/3-21، وينظر أيضاً: الطوي: جامع البيان في أحكام القرآن 1/335-337.

- ثمة ملاحظ توميّ إليه الصياغة التوراتية هو تقسيم الأدوار بين الجنسين، فالرجل كما قرّر - إله التوراة- هو سيد المرأة ومآلها، والمرأة موقوفة على الإنجاب وتحمل المشاق؛ تكفيراً عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حواء ما حاضت امرأة، ولا اقترفت أنثى فاحشة.

- إن المرأة - وفق الأسطورة التوراتية- هي قرين الشيطان، وسلاحه الأسمى؛ لذا رُشِّح في الميخيل الشعبي أن النساء حبايل الشيطان، وما آيس الشيطان من شيء إلا أتاه من النساء.

- وما يستشعر من الصياغة الأسطورية هو قسوة الإله، فهو لا يقصّر عقابه على آدم وحواء، بل يُحلّ العقوبة على ذريتهما من بعد، فضرب اللعنة على المرأة أينما حلت؛ لأنها سبب شقاء الإنسان.

ولعل هذه الأسطورة أفضت بالقديس (ترتولين) إلى القول:

"يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكنّ ولجنسك عامة، لذا يجب أن يبقى في نسلكن الشر والحقد. أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان، اللاتي قطعن من ثمار الشجرة الممنوعة، أنتن حطمتن القانون الرباني، أنتن اللاتي خدعتن آدم؛ وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملته، أنتن اللاتي أضعتن أسماء الله بسهولة كاملة. إن شقاء الموت يرجع لملككن القبيح، وحتى موت ابن الله يرجع لملككن الشنيع".<sup>1</sup>

أسهمت الأسطورة التوراتية في صياغة الرؤى حول الرجل والمرأة فيما بعد، وكأنها ناموس رباني راتب، وهذا ما نلمحه في الأدبيات الدينية والشعبية، ففي رسالة بولص لأهل كورنثوس مُستحة توراتية عن العلاقة بين الجنسين، يقول بولص:

<sup>1</sup> المل انبسي: المرأة في فلاح الأديان، مجد تايكي، منشورات لمانعة عمان الكبرى، 6، صيف 2001، ص 8.

"الرَّجُلُ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، الرَّجُلُ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ"<sup>1</sup>.

وفي الرسالة نفسها يذكر: لتصمت نساؤكم في الكنائس؛ لأنه ليس مآذونا لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول التاموس أيضاً.  
"أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب؛ لأنَّ الرجل هو رأس المرأة كما هو المسيح أيضاً رأس الكنيسة"<sup>2</sup>.

هكذا حُدِّدت العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من السيطرة والتبعية، فالرجل رأس المرأة، لأنه الأقدر على التمييز والتدبير، أما المرأة فينحصر دورها في الإشباع الجنسي، وترتيب شؤون المؤسسة لاستمرارية النوع، فكذا نداء الطبيعة بقرُّ، عليها أن تخضع وتصمت، لأنَّ الكلام شرط ذكوري، ليس للمرأة أن تخترقه، فهذا الدور -حسب تلك الأسطورة- مرغوب من السماء، متسق والطبع كما قرر (أرسطو):

"الطبع هو الذي عيَّن المركز الخاص للمرأة والعبد .

لعل هذه المقولة أخطر من سابقتها، إذ تقول الأديان - ما خلا الإسلام-: إنَّ الرب هو الذي حدّد المركز للمرأة، فالرب مقولة اعتقادية، أما الطبع فمقولة جوهريّة، فجعل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثر في التفكير الفلسفي أكثر من المقولة اللاهوتية"<sup>3</sup>.

على الرغم مما أشاعته الأسطورة التوراتية من ظلال على التراث المسيحي، إلا أنَّ القرآن ساق القصة بصياغة مبينة لما جاء في التوراة، فالقرآن لم يُلَقَّ باللائمة على المرأة، بل كان محايداً في خطابه: (وقلنا يا آدم اسكن

<sup>1</sup> التكميل انقضى 8/11-9.

<sup>2</sup> انقسام نفسه 22/5-33.

<sup>3</sup> يشر: هادي العلوي: فصول في المرأة، ص 82.

أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما ولا تقرها هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿٣٤﴾ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين<sup>١</sup>.

وفي سورة طه ﴿٣٥﴾ قلنا يا آدم إني هذا عدوك ولزواجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴿٣٦﴾ إني لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴿٣٧﴾ رأيك لا تظلموا فيها ولا تضحي ﴿٣٨﴾ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴿٣٩﴾ فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ﴿٤٠﴾ ثم جنباه ربه قتاب عليه وهدى<sup>٢</sup>.

قصة خروج آدم في القرآن لم تحمّل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كان الخطاب بصيغة المثنى: فأزلهما، فأخرجهما، خلافاً لم جاءت به التوراة.

القصة في القرآن لم تسم امرأة آدم، وهذا الأمر دفع الباحثين للتساؤل "إنه أمر يدعو إلى العجب، خاصة وهي أم البشرية، وأول امرأة في هذه الحياة، ثم هي التي ساعدت آدم على الخروج من الجنة، حين أغوته بالأكل من ثمر الجنة -كما تقول التوراة- لعل القرآن غفل عن ذكر اسم حواء لتأثير "سلطان البيئة"، إذ إن التقاليد العربية لم تكن تستسيغ ذكر اسم المرأة من ناحية، ولأن القرآن يصور حواء نابعة لآدم في كل شيء<sup>٣</sup>.

نوزعت القصة في القرآن على آيات متعددة، فلا نقرأها باعتبارها نصاً متصلاً، بل إضاءات مجزأة تخلو من تفصيلات خلق آدم وحواء، وخروجهما من الجنة. إلا أن المفسرين المسلمين نقلوا هذه التفصيلات عن التوراة، فشاع في تفاسيرهم إحياء أسطورية رسخت في المخيال الشعبي حقائق

<sup>١</sup> سورة البقرة : 34-35.

<sup>٢</sup> سورة طه : 117-122.

<sup>٣</sup> محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 317.

مطلقة عن الرجل والمرأة: فهي مشتقة من ضلع أعوج، وهي قرين الشيطان، وممكن الخطيئة والزيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء...<sup>1</sup>.

لعل هذا الاسترسال في مقاربة قصة الخلق في العهد القديم ينطوي على فكرة مؤداهاء: أن هذا الخطاب المنتج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسبه في تمثيلات الحياة المختلفة، فرسب في الذاكرة تفوق الرجل وحضوره، وتراجع المرأة عن الفعل والشهود، مما جعل الخطاب يتحدث عن مطلق المرأة/ الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنة مع مطلق الرجل/ الذكر. "وحيث تحدد علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين، يتعين ضرورة خضوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعاً منطقة نفوذه، فإن من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمناً أن يُنتج خطاباً عنصرياً بكل معاني الألفاظ ودلالاتها"<sup>2</sup>.

واللغة في هذه المعادلة ليست منبئة عن الثقافة، بل هي تعبير عنها، وجزء متخلق في تربتها، فهي وسيط متغير، وتغيرها يعتمد على تغيير السياق التاريخي والاجتماعي لاستعمالاتها. "فتغير مدلول كلمة (Mistress) في الإنجليزية من حاكمة أو سيدة الأسرة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى عشيقة أو خلية في القرن السادس عشر، فاستعملت كلمة (Housewife) لتدل على ربة المنزل. يشير إلى تكفي وضع المرأة من خلال علاقتها بالرجل وانتزاع السيادة منها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن 1/229-230، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 7، 4، ص 238. ابن كثير:

تفسير القرآن العظيم، 1/19-20.

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد: دوائر الحروف، ص 29.

<sup>3</sup> Woman Words (A vocabulary of Culture and Patriarchal Society) by Jan Mills, PP. 164-165.

أسهمت الذاكرة الجمعية في إقناع المرأة بضعفها، وعدم القدرة على الإبداع، فعدت أداة قابلة للتوظيف، والتمييز، والتشكل وفق النظام السائد، "إنَّ الخضوع والسلبية والضعف والمازوشية (حب الإذلال) ليست صفات نفسية للمرأة، ولكنها تصبح صفاتها من أثر الاضطهاد الاجتماعي الطويل"<sup>1</sup>.

إنَّ هذا التقييد الذي انسحب على المرأة قديماً وحديثاً ترك إحياءاته في الثقافة والمجتمع، مما جعل المرأة تظهر كائناتاً هامشية، تابعة، فانكفات على ذاتها، وانغمست في العمل المنزلي، لأنَّ ليس ثمة فضاء ممكن للمرأة غير ما هو مراقب ومكبوت.

لذا لا تُعرّف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علانية مع الآخر، فهي زوجة فلان، أو أم فلان، أو ابنة شخص ما، حتى الراهبة - في التراث المسيحي - تُسمَّى زوجة المسيح.

هذا الناموس الكوي الذي تكرس بسطوة الثقافة<sup>2</sup> أفضى إلى إنتاج لغة تماهت مع مسطورات المجتمع، فأنحازت في أكثرها إلى الرجل، وصورته معياراً للإنسان عموماً، وصيِّرت الأنثى قرعاً وانحرافاً.

لم تقتصر تمثيلات اللغة على ضرب معين، بل إنَّ فضاءاتها امتدت إلى القانون اللغوي الناظم للعلاقة بين الجنسين، فأُمسى الضمير المذكر سائداً، وهو عمدة التركيب، لأنه محور الخطاب ومنتجه.

<sup>1</sup> نوال السعداوي: الأنثى هي الأفضل، ص 35.

<sup>2</sup> ساجد تعريف واردة جوديث Ward Goodenagh للثقافة الذي عسدها: المعرفة المكتسبة اجتماعياً. ينظر: هيدسون:

علم لغة الاجتماعي، ص 118-135.

فاللغة بفعل هذه الثقافة غدت متحيزة - كما ترى ديل سبندر (Dale Spender) "إنها ليست عربية تحمل أفكارنا، بل هي تشكل الأفكار إنها برنامج النشاطات العقلية.

وفي السياق هي لا شيء أكثر من تخيلات البشر المثيرة للسخرية كالقدرة على التمسك بالأشياء كما هي موجودة. وعندما يكون هناك لغة متحيزة لجنس ما، ونظريات تقليدية متحيزة أيضاً، فإن ملاحظة الواقع ستكون أيضاً قابلة لأن تكون متحيزة لجنس دون آخر".<sup>1</sup>

تخاطب اللغة القراء كما لو كانوا رجالاً دائماً، لأن العرف العام تشكل بوساطتهم، ولعل استدعاء إعلانات التلفزة يُوَمِّض إلى ما نرمي إليه، فالإعلانات توظف المرأة أداة إغرائية لعرض المنتجات، وبهذا تستبعد المشاهد الأنثى على نحو صارم، أو أنها تزجُ بالمرأة لأن تنظر نظرة الرجل في اللوعي، لأنها مسكونة بنزعة تلقينية مفروضة من الخارج. عرضت الناقدات في الحركات النسوية لأشكال التحيز، ولا سيما في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فهذه اللغة تمنع في الانتقال من قدر النساء من خلال الألفاظ والمترادفات الكثيرة:

"ففي الإنجليزية قرابة 220 مصطلحاً يتعلق بالجنس غير الشرعي للنساء مقابل 22 مصطلحاً يخص الرجال.

وزعم أحد الباحثين أن الإهانات الجنسية زادت منذ الحرب العالمية الثانية وابتكر الإعلام المتحكم ألفاظاً تبتذل الحركات النسوية".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Extracts from Man Made Language, by Dale Spender p. 94.

<sup>2</sup> The Female World , by Jessie Bernard, PP. 376-377.

ولا تقتصر الإنجليزية الأمريكية على تشويه صورة النساء الجنسية، بل تؤكد تفوق الرجال، ونعكس الموقع الثانوي للمرأة في عالم الذكور. "ففي دراسة للبرامج المُعدّة لتطوير اللغة الإنجليزية كان الجنس المسيطر هو الجنس الذكوري، لذا ليس غريباً أن نلمح هذه الرموز المهيمنة في اللغة، نحو: للرجال Yell (بمعنى يصيح)، وللنساء Angry ، Screams للرجال (بمعنى غاضب) وللنساء Fret، وللرجال Growl (بمعنى يتنمر) وللنساء Squeal .

وحال (فرانسوا) معاني الكلمات المختلفة التي تعود للذكورة والأنوثة، فوجد أن الكلمات العائدة: للأنوثة مثل: Sweet أو Pretty بمعنى جميلة، هي كلمات ضعيفة، وكلمة Good تصطبغ بالازدرائية إذا أطلقت على النساء<sup>1</sup>. إن تخصيص الرمز اللغوي من قبل الرجال يرمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إثبات أن الرجال هم الآباء/السادة.
- تكريس الهيمنة على النساء.
- تدعيم رؤيتهم المتمثلة في القدرة على تجنيس (تذكير) الحقل الثقافي مثلما قاموا بتجنيس الحقل الطبيعي للرحم.

ونرى ليزي لرغراي (Laci Urgray) " أن الذكور قاموا - بوعي أو دون وعي - بتمثيل أي شيء له قيمة بما يوافق صورتهم أو جنسهم النحوي لضمان سلطتهم وهيمنتهم على الخطاب. فأغلب النحويين قالوا بعشوائية الجنس النحوي، وأنه مستقل عن الدلالات، والإشارات الجنسية، ولكن ذلك ليس

<sup>1</sup> The Female World , by Jessie Bernard, PP 377-378.



صحيحاً، لأنّ ذاتهم قد انسربت في يخضور اللغة، فجهدوا إلى تثبيت الذكر، وإقصاء المؤنث<sup>1</sup>.

ولكن كيف تمّت نسبة الجنس إلى الكلمات؟

تري (لرغري) أنّ تلك تم بطرائق مختلفة ومستويات متنوعة، فقديماً اعتقدوا أنّ هناك تطابقاً بين ما يسمى بالواقع وجنس الموضوع المنكلم، فالأرض la terre هي المرأة، والسماء le ciel أخوها، أما الشمس le soleil فهو الرجل الإله، والقمر la lune هي المرأة أخت الرجل الإله<sup>2</sup>.

وهكذا يُلحظ شيء من التماثل الأول يبقى دائماً في جنس الكلمات، ودرجة وضوحها أو اختبائها يختلف من كلمة إلى أخرى.

فالكائنات الحيّة القوية التي لها تاريخ (ثقافة) تصبح مذكرة، والأشياء غير الحية وغير القوية، التي ليس لها ذاكرة تُسمّى (مؤنثة).

وهذا يُفضي إلى أنّ الرجال نسبوا الذات إلى أنفسهم، وقاموا باختزال النساء إلى منزلة الأشياء أو الالاتحقق ...

لقد افترض نصيرو الحركة النسوية أنّ اللغة ليست عادلة، وشفافة لتمثل الحقيقة، لذا انبرى هؤلاء لتعديل اللغة من التحيز إلى الحياد، وتنامي هذا النهج بفعل علماء الإناسة في القرن التاسع عشر، وزاد أواره في القرن العشرين مع نهوض الحركات النسوية في العالم.

ويُعدّ يسبرسن (Jespersen) (1922) من الرواد الذين بحثوا التحيز الجنسي في اللغة، فقد نعت اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة ذكورية ووسم جربر (Gruber) اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة كره النساء. ومثل على قوله بالأفاظ تُظهر هذه الكراهية، فكلمة bitch تطلق على النساء وهي في

<sup>1</sup> Language Sexes and Gender, by Luci Lrigray, p. 120

<sup>2</sup> Ibid, P. 121.

الأصل تتعلق بالحيوان، وكلمة witch (ساحر، ساحرة) التي تشير إلى الرجال والنساء تستحيل إلى ازدياء إذا أطلقت على النساء.  
وهناك ألفا نكتة بذيئة في أمريكا وخارجها صاغها الرجال لامتهان النساء ..<sup>1</sup>

وعبر مارك توين (Mark Twain) عن سخطه فيما يتعلق بالجنس (من حيث التنكير والتأنيث) في مقاله (اللغة الألمانية المزعجة) "إنه في الألمانية ليس للمرأة الشابة جنس فارق، فيما يحظى نبات (اللفت) بجنس محدد، فأى وقار ومهابة يتمتع بهما نبات اللفت؟ وأي مهانة لحقت بالبنات أو الفتيات؟ والزوجة في الألمانية ليس لها جنس، فهي محايد"<sup>2</sup>.

لقرون خلت تم نجس التنكير في الثقافة، مما مكن الرجل من صنوغ الواقع وتنسيقه طبقاً لمآرعه، فهو يملك القدرة على تشريع نظام من المعتقدات يكون فوق مستوى الخطأ.

فالذكور -حسب توصيف ديل سبندر- "هم المجموعة المسيطرة التي أنتجت اللغة والفكر والواقع، وذلك ببناء الأقسام، واختيار المعاني، بعد ذلك قاموا بالمصادقة عليه، ونمريره إلى بقية الذكور، ولم يكن للمرأة في هذا الأمر سوى الانصياع لهذا القانون"<sup>3</sup>.

هكذا طفق الرجل يحتكر الدوال، ويشفر المعنى، فشاع الضمير المذكر وتوارى ضمير الأنثى، لأن الأنثى تتصوي تحت الضمير المذكر، ففي الإنجليزية الأمريكية استخدامات (he, his, him) أو كلمات (man, man kind) للإشارة إلى النساء والرجال.

<sup>1</sup> The Female World, by Jessie Bernard, p. 379

<sup>2</sup> Words and Women. by Gasey Miller. P. 40.

<sup>3</sup> Man made Language, P. 13, P. 143.

وتستخدم هذه اللغة في وظائف لاحقة (+man) نحو : Freshman، Postman، Salesman، Chairman، مما يوضح في الأذهان أن هذه الاستخدامات غير محددة للجنس، بل تطلق على العام.

"وتنعت مارجريت نويل (Margeret Doyle) اللغة الجنسانية بأنها غامضة وغير دقيقة؛ لأنها تستثني أكثر من نصف البشر"<sup>1</sup>.

هذا التحيز اللغوي يتعين في العبارات المستخدمة، وفي طريقة اللفظ، وشدة التعبير، وبناء الجملة، وكذلك في مواضع الحديث، فهناك دوال تحمل دلالات مبالغة إذا ألحقت بأحد الجنسين، " ففي الإنجليزية: تعني عبارة He is professional (هذا الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحترمة كالطب والمحاماة، والتعليم...)، أما عبارة She is professional فتشير إلى أن المرأة مومس محترفة، وكلمة mister تعني "سيد" أما مؤنثها mistress فتعني "عشيقة"<sup>2a</sup>.

ومن الأمثلة التي تلُمع إلى التحيز الجنسي في الإنجليزية، أن الأسماء التي ربطت اللغة بالأحداث والنشاطات، وخاصة ما يتعلق بالميل الجنسي قد صيغت تبعاً لوجهة الذكور، نحو: Penetration "الاختراق" و Screw، Fuck، أو Lay استلقاء.

فاصطبغت الألفاظ بالأشخاص الذين يميلون إلى الجنس الآخر، مما يوحي إلى أنها أفعال ذكورية تمارس المرأة فيها دور المنفعل. وكان يتعين أن تجد ألفاظ أنثوية طريقها إلى المعجم الإنجليزي نحو: Surrounding و Enclosure "محصور، مُحاط"، Engulfing "مغطى، مغمور".

<sup>1</sup> Introduction to the A – Z of Non – Sexist language by M. Doyle, P. 149.

<sup>2</sup> نليف عزماء: أعضاء على اللغويات المعاصرة، ص 24.

إنَّ اختفاء هذه الدوال تومئ إلى سلطة الرجل في صياغة اللغة واحتكار المعنى<sup>1</sup>.

على الرغم من أنَّ الجنس الأنثوي يمثل 51% من السكان، إلا أنه لا يحظى بهذه النسبة في التحقيقات الحياتية \* ففي الكتب المصورة تقابل كل صورة لأنثى 11 صورة لذكور.

وفيما يتعلق بعنوانات الكتب \* فتبلغ نسبة الذكر إلى الأنثى 3/8، وهي نسبة قارّة منذ عام 1938<sup>2</sup>.

وقد أجريت دراسة للألقاب في خطاب الرواية الفلسطينية المعاصرة، وانتهت الدراسة إلى "أنَّ معظم ألقاب النساء تكمن في الميدان الاجتماعي والعائلي، وتكاد تنعدم الإشارة إلى النساء في المجالات الثقافية والإبداعي والوطنية والسياسية.

إنَّ الألقاب بما تعيه من اعتراف المجتمع وتقييمه للدور الذي يقوم به الفرد داخله ممنوحة للرجال فقط، وإنَّ الاعتراف بدور المرأة الفلسطينية وهويتها في مجتمعها غائب ويتمحور في حدود ضيقة تعكس الشرط الاجتماعي لمنتج النص ومثاقه"<sup>3</sup>.

يُمنح اللقب للإنسان رجلاً كان أو امرأة باعتباره قد يُشكّل حالة ثقافية معينة داخل المجتمع، ويكون منح اللقب لهذا الكيان الثقافي تحديداً لدور الإنسان ذاته، وإبرازاً له في مناسط الحياة.

<sup>1</sup> See: Gender Based Language , by, Susan E. Hrichanel, P. 165.

\* بيانات هذه النسبة تتضائل لصالح الجهاد والمسؤولية بين الجنسين. بفعل الحركات النسوية التي نال على حضور الأنثى في اللغة، ولكن ما زالت هذه الطموحات في بدايتها.

<sup>2</sup> لورزولا شوي: فصل الفروق بين الجنسين، ص 98.

<sup>3</sup> ينظر: إلحاح أبو غزالة: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص 12 - ص 16.

فاللقب انعكاس للشرط الاجتماعي والأطر المعرفية لمنتج النص ومستقبله وليس مرده للغة، إذ إنَّ اللغة تحتقب في تضاعيفها طرائق متراحبة لتحقيق المساواة، والاعتراف بالمنجز النسوي.

ولكن ما فتئ المجتمع الذكوري يعزّز مفهوم الغرامة المستحقّة للرجال، فإن شئت المرأة عن هذا الطوق المحكم عليها قيل إنها باينت طبيعتها، وغادرت مواقعها الخلفية إلى عرين الرجل/ اللغة.

"وهذه بعض شظايا الانفجار الذي أحدثته رواية (جين إير) "الإملي برونتي"، في صف النقد الروائي في منتصف القرن التاسع عشر:

- إنه فخر أن تكون كاتبة هذه الرواية امرأة.
- إنها تكشف الكثير عن الطبيعة البشرية بشكل حائق ودقيق؛ وهذا ما يستحق الإعجاب، لكنه شيء مروع أن تكون الكاتبة واحدة من بنات الجنس اللطيف.

- فيها خروج وتجاوز عن كل ما هو أنثوي، وهذا خيانة للمرأة.
- رواية "جين إير" لا أنثوية، صحيح أن فيها قوة الرجل وصلابته وحرية في الكلام؛ بيد أن هذا نوع من الاسترجال غير المحبب...<sup>1</sup>.

انتقد مناصرو الحركات النسوية هذا الفكر المنحاز في اللغة الإنجليزية الأمريكية الذي أسلم المرأة إلى مركزية اللوغوس/ العقل، واختزل دورها في وظائف محددة؛ لذا سعت الحركات النسوية إلى تطهير اللغة من مظاهر التحيز والتطلع إلى لغة محايدة تنسق ودور الجنسين في صوغ الحياة.

<sup>1</sup> نازك الأعرابي: صوت الأنثى، ص 28.

تركزت دراسات الجنوسة على اللغات الأوروبية والأمريكية، ولم تحظ العربية بالمعاصرة إلا لمأماً، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذه الدراسات وعدم سيرورتها في المشرق العربي على نحو ما تحقق في الغرب.

لذا لابد أن نعرض للعربية في سياق الحديث عن التحيز والحياد: وسأزج في هذه المحطات منزع الانتخاب والاختيار الممثلين - في ظني؛ لتعذر الاستقراء التام.

ينبغي ونحن نعرض للغة والتحيز أن نحترس من الخلط بين اللغة بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين الظاهرة، فإذا كان ثمة تحيز فمبعثه الثقافة وقيم المجتمع لا اللغة، فاللغة محايدة في مستوياتها المتعينة، ولكنها تصطبغ بالأطر المعرفية والاجتماعية للأفراد.

يتعين لدراسة التحيز الإلماع إلى أثر الثقافة في أقاليم اللغة، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، وهي توفر مدخلاً للثقافة، وتعين في الكشف عن المفاهيم المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالعود الدائم إلى محيطها الأوسع الذي تخلق فيها الكلام.

فالعربية تعكس تمثلات الثقافة التي تشرّبت نفسها، وأسهمت في تبلورها، لأن اللغة في حقيقتها نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع لتترجم من خلال تحقيقات فردية.

فالفرد يكتسب اللغة وهو اكتساب بالضرورة لطرائق التفكير الثاوية في نألماتها، لأنها الذاكرة الجمعية التي تودع الشعوب فيها خبراتها، وتنقلها إلى الأجيال اللاحقة.

فالثقافة العربية لم تكن بذعاً من الثقافات، فهي تنفعل بما خامرها من حضارات سابقة، وفكر إنساني متقدم، وتتفاعل مع محيطها لنسج منظوماتها من هذا الخليط المتراحب الذي يتناصى بشهقة التكوين الأولى. وهذا أصل

أصبل في كل أمة، وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف  
ألسنتهم وألوانهم ومللهم.

سُقَّتْ الحديث فيما سلف إلى التحويلات التي اكتتفتها قصة الخلق  
الأول، وما أعقبته من آثار على الجنسين؛ إذ حظي الذكر بالأصالة والغلبة،  
ومُنِيَتِ الأنثى بالفرعية والاختزال.

ولعل كثيراً من المقولات المتقدمة القارة في الثقافة والمجتمع قد  
أرخت سدولها على اللغة، وتجلت هذه الظلال في الأصول التي أسست اللغة  
عليها بنيانها، وفي المؤونة التي وفرتها الثقافة للغويين والنحويين لتصنيف  
اللغة، وتقعيدها.

لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصور النمطية للجنسين،  
فانسرب ذلك في خلد أفرادها، وتمثل في معابنتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظلَّ  
في المقدمة يرفل بالقوة والمؤدد، فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجب.

هجا زهير بن أبي سلمى آل حصن بقوله:

وما أدري وسوف إخال أدري      أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء مخبات      فحق لكل محصنة هذاء<sup>1</sup>

علق الأعم الشنتمري على هذين البيتين بقوله: "إن كانوا رجالاً  
فسيوفون بعهدهم، ويبقون على أعراضهم، وإن كانوا نساء، فمن شأن النساء  
الغدر وقلة الوفاء، وإنما يصلح للخبئة والنكاح".<sup>2</sup>

ويرى طفيل الغنوي أن النساء لا يلتزمن بما يملى عليهن:

إن النساء متى يُنهَيْن عن خلق      فإنه واقع لابد مفعول<sup>3</sup>

<sup>1</sup> شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 73-74.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 74.

<sup>3</sup> ابن عبيد ربه: العقد الفرزدق، 127/6.

والمرأة قرين الغدر كما وصفها أبو تمام:  
 فلا تحسباً هنداً لها الغدرُ وحدها      سجيّة نفسٍ كلُّ غانيةٍ هندُ<sup>1</sup>  
 مجدّ هذا المجتمع الرجولة، فهي نؤابة المدح والبهاء، وخلاف ذلك  
 الأنوثة، فهي مادة الهجاء ولسخرية. هجا جريرُ الفرزدقُ قتلاً:  
 خذوا كُحلاً ومخفّرةً وعطراً      فلستم يا فرزدقُ بالرجال  
 وهجا أحد الشعراء عبساً:  
 فسادةٌ عبسٍ في الحديثِ نساؤها      وقادةٌ عبسٍ في القديمِ عبيدها<sup>2</sup>  
 والمرأة تردُّ في بعض تحقّقات الثقافة رديف الغي والضلال، قال أبو  
 العلاء المعري:

إذا بلغ الوليدُ نديك عشراً      فلا يدخلُ على الحرمِ الوليدُ  
 ألا إنّ النساءَ حبالٌ غيٌّ      بهنّ يضيّعُ الشرفُ التليدُ<sup>3</sup>  
 لعل تلازم المرأة بموضوع الهجاء دعا أبا تمام أن يخصص باباً لمذمة  
 النساء في كتاب الحماسة، فإذا علمنا أنّ أبا تمام كان أول من صنّف الشعر  
 تصنيفاً موضوعياً، فتلك أمارات عن الثقافة التي رسّيت هذه الأنظار.  
 إنّ استجلاء صورة المرأة في الشعر القديم يُشعرُ بأنها غرِضتْ  
 مثلاً منزوع الحركة، أو أداة رمزية قابلة للتوظيف، فحضورها ليس  
 حضوراً كيانياً مُتّجاً، بل في كثير من التمثيلات كانت عاجزة عن الحركة،  
 تنسم بالعطالة والسلبية، لأنّ الشاعر يُشكّل ذاتها وفق ثقافته ورواه. "فالترميز  
 بحد ذاته عملية تُقلّص المرموز إلى مخض بعده بوصفه موضوعاً، بينما يحتكر  
 الرامز أو مؤول الرمز كل الذاتية لحسابه، ومع أنّ الترميز يفترض أصلاً

<sup>1</sup> ديوان أبي تمام: 8/2.

<sup>2</sup> المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، 226/1.

<sup>3</sup> البطليوسي: شرح المختار من لؤزميات أبي العلامات: جاهد عبد الحميد، 140/1.



بالموضوع المرموز أن يكون قابلاً للتشكيل، أي مادة مطّويع يحدد الآخر مصائرهما".<sup>1</sup>

لقد جرى تصميم المرأة لا لمجرد المنع من الكلام، ولكن منعها من الحضور في اللغة على نحو ما تحقّق للرجل، ففي الجاهلية والإسلام تم إحصاء 504 شاعرة<sup>2</sup>، لكن لم تمنح القيم السائدة لهؤلاء الشاعرات البروز، إلا من خرقن ستار الصمت، وفرضن تجاربهن بمضاء وعزم، كالخنساء، وسكينة بنت الحسين، ورابعة العدوية. ومع هذا لم تسلم تجربة المرأة من الإضرار عليها، ففي خبر عن بشار بن برد أنه قال: "ما من شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف، فاعترضه أحد جلسائه. والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصي ..".<sup>3</sup>

وانتقد الفرزدق امرأة قالت شعراً. فقال: "إذا صاحبت الدجاجة صباح الديك فلتذبّح"<sup>4</sup>.

فالثقافة في بعض أنحائها عدّت اللغة شرطاً ذكورياً، فحكمت على المنجز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل حقه. "ويبدو أنها كانت تخشى إن تميزت في الواقع تحت تسمية تخص جنسها أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائماً مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع ..".<sup>5</sup>

ضرب هذا السلوك النمط للمرأة بكتكله على تمثّلات اللغة "فكل ما نلقاه من أدب وتراث عن المرأة هو من نتاج هذه الصورة الخرساء لذلك

<sup>1</sup> جورج طرايشي: رمزية المرأة في الرواية العربية، ص 120.

<sup>2</sup> ينظر: عبد مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام.

<sup>3</sup> من: عهدي العنوي: فصول في المرأة، ص 17.

<sup>4</sup> المجلد: ص 105/1.

<sup>5</sup> نازك الأعرابي: صوت الأنثى، ص 8.

الجسد الثاني، فهذه ليلي، وعزة، وبثينة من المعشوقات الهلاميات (الخرس) مثل اللات والعزى ومناة ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نتصور وجودهن الفاعل؛ لأن الثقافة لم تُرِدْهن للكلام، وإنما أرادت سكوتهن وتحليقهن في سماء المخيال المجنح<sup>1</sup>.

فالتبيعة - طبقاً لهذا المخيال - أرادت للمرأة الركون في البيت، لتمارس هواجسها ووظائفها الأنثوية. عبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

ولا تحمد حسنك إن توافت      بأيدي السيفور مقومات  
فحمل مغازل النسوان أولى      بهن من اليراع معلمات  
سكبت الثقافة في خلد المرأة أن الصمت مكرمة، يتعين عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقبول؛ لأن الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها، إنها جسد مثير - كما وصقها ابن حزم: "إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتألف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن أسواء. والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب، وملاقة الفتن وتحمل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيف لفراغ، صارف عن طريق الباطل"<sup>2</sup>.

كرست الثقافة أنوار الجنسيتين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة السنيّة، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل - تبعاً لوجهة المجتمع - متوقدة غلّة.

"حكى عن امرأة يقال لها المعبرة، كانت أحكم أهل زمانها، وأعرفهم بالأمور، قيل لها:

<sup>1</sup> عبد الله الفتحي: ثقافة الوهم، ص 39.

<sup>2</sup> ابن حزم: طرفي المعركة، ص 84-85.

أيتها الحكيمة: أين تجد العقل معشر النساء؟

قالت: بين الأفخاذ<sup>1</sup>.

وعن هذا المسطور النقابي صدر خالد بن صفوان، حين قيل له: أتملُ الحديث؟ قال: إنما يُملُ العتيق، والحديث معشوق الحسِّ بمعونة العقل، ولهذا يُولع به الصبيان والنساء، فقال: وأي معونة لهؤلاء من العقل، ولا عقل لهم؟<sup>2</sup>

لعل هذا التراتب بين الجنسين أفضى بالجاحظ إلى انتقاد بنية المجتمع التي ترى في الذكورة قيمة أثيلة، وتتأى عن الاحتفاء بالأنوثة. ذكر الجاحظ في (رسالة النساء):

"ولسنا نقول، ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال، أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو أكثر، ولكننا رأينا ناساً يزرعون عليهن أشدَّ الزراية، ويحتقرونهن أشدَّ الاحتقار، ويخسونهن أكثر حقوقهن، وإنَّ من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن يُنكر حقوق الأمهات والأخوال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العراوي: الرومي العاطر في زهرة الخاطر، ص 137.

<sup>2</sup> أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة 1/ 23.

<sup>3</sup> الجاحظ: رسائل الجاحظ، 151/3-152.

## النحو والتحيز:

لم يكن النحو بمنأى عن الثقافة السائدة، فقد تبلّرت سيماؤه من الواقع اللغوي، وما كان للغويين والنحويين إلا أن يركنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، فمعياريّتهم محمولة على توصيف لهذا الاحتشاد اللغوي.

رتبت العربية أحكاماً نحوية وصرفية وفيرة للتمييز بين المذكر والمؤنث، نحو: تذكر الفعل وتأنيثه، واستخدام الاسم الموصول المناسب، واستخدام اسم الإشارة الملائم، والخبر، والحال، والنعت، والعدد، والتصغير، والممنوع من الصرف، والتفضيل، وغيرها.

ولعل هذه الوفرة في أبواب النحو والصرف تحققت؛ لاعتقادهم بأن التذكير والتأنيث طريقة من طرق التقسيم النحوي لإظهار التوافق في السياق حتى يكون التماسك فيه واضحاً.

ولكن الحرص على التوافق السياقي لم يكن خلواً من تداعيات الثقافة ووطأة المجتمع. لذا نلاحظ أن "الأصالة والفرعية" في الجنس اللغوي مشوبة بفكرة التكوين الأولى، التي قررت أن الذكر أصل ومنه اشتقت الأنثى. وبالضرورة أن يغلب الأصل على الفرع لتتسق والفكرة الجوهرية للوجود. أقام النحويون على هذا الأصل كثيراً من قواعد العربية، ذكر سيبويه:

"الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً".<sup>1</sup>

ويقول سيبويه في موضع آخر: "الشيء يختص بالتأنيث، فيخرج من التذكير".<sup>2</sup>

وترددت هذه المقولة في مؤلفات النحويين فيما بعد.

<sup>1</sup> سيبويه: الكتاب، 3/241.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 3/242.

ذكر المبرّد: "أن كل ما لا يُعرّف مُذكر هو أم مؤنث، فحقّه أن يكون مذكراً؛ لأنّ التانيث لغير الحيوانات إنما هو تانيث بعلامة، فإذا لم تكن بعلامة، فالتذكير الأصل"<sup>1</sup>.

وقال الزّجاجي: "أصل الأسماء التذكير، والتانيث داخل عليها"<sup>2</sup>.  
ويذكر في موقع آخر: "أما الأفعال فمذكّرة كلها، وإنما تلحقها علامة التانيث دلالة على تانيث الفاعل"<sup>3</sup>.

ويقرّر ابن جنّي "أنّ إلحاق علامة التانيث للفعل دليل على تانيث الفاعل أو نائبه لا دليل على تانيث الفعل، فالفعل يدل على نسبة الحدث إلى صاحبه: الفاعل، المفعول به، نائب الفاعل والحدث جنس، والجنس مذكّر"<sup>4</sup>.

يقمّ ابن يعيش الدليل على أصالة المذكر، في أمرين هما:  
"مجيبهم باسم مذكّر يعمّ المذكر والمؤنث، والثاني أنّ المؤنث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة"<sup>5</sup>.

إنّ افتقار المؤنث إلى علامة تحيل إلى فكرة موهلة في القدم، إذ نظراً إلى اللاحقة أنها سمة للضعف وأقلّ القيمة، يذكر المستشرق فليش "إنّ هذه اللواحق الخاصة بالمؤنث النحويّ بجرنا إلى تصور حالة من حالات اللغة ضاربة في القدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدّق على طبقات، ويبدو أنها قد التفت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة أقلّ القيمة أو الأدنى، وهي التي يمكن

<sup>1</sup> المبرّد: المذكر والمؤنث، ص 108.

<sup>2</sup> الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، ص 291.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 290.

<sup>4</sup> ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، 223/1.

<sup>5</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، 88/5.

أن تفسر فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجردة<sup>1</sup>.

وأشار يسبرسن (Jespersen) إلى ذلك حين قال: "استخدمت اللغات القديمة نهايتين للدلالة على التأنيث، وهما "á" و "i"، وهي مرتبطة بمعاني الصغر والضآلة والنقصان والضعف في لغات كثيرة قديمة"<sup>2</sup>.

### التغليب للمذكر:

تغليب المذكر من سنن العرب، ذكر الثعالبي في حديثه عن (خطاب الرجال والنساء بالصيغة نسها):

"قال تعالى عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)، وقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فعمّ بهذا بالخطاب الرجال والنساء، وغلب الرجال، وتغليبهم الرجال من سنن العرب"<sup>3</sup>.

وتبعاً لذلك كان تأنيث المذكر من قبيح الضرورة<sup>4</sup>، "أما تنكير المؤنث فواسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التقاكر والإغراب"<sup>5</sup>.

فإذا اجتمع مذكر ومؤنث، حُلّ الكلام على التنكير؛ لأنه الأصل، فتقول: الرجل والمرأة حضرا، وجعفر وأسماء ابنا أبي بكر، ولو اجتمعت منه امرأة ورجل، لتعين الإشارة إليهم بصيغة المذكر، لا بصيغة جمع المؤنث،

<sup>1</sup> هنري فنلي: العربية الفصحى، ت: عبد الباقى شافعز، ص 70.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر: اللغة وأصولها الجسني، ص 46، نقل عن:

Language, Nature, Development and Origin, by Otto, Jespersen, P. 394

<sup>3</sup> الثعالبي: لغة اللغة وسر العريف، ص 36.

<sup>4</sup> ابن حي: سر صناعة الإعراب، 12/1.

<sup>5</sup> ابن حي: المعاصر، 417/2.

فرجل واحد بمقتوره أن يلغي مجتمعاً من النساء ولو كثر؛ لأن الذكر في الجبلة الأولى أصل للأنثى، يقول الأنباري: "المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر على المؤنث، لأنه هو الأصل، والمؤنث مزيد".<sup>1</sup>

ويذكر ابن يعيش: "إذا اجتمع مذكر ومؤنث حمل الكلام على التذكير لأنه الأصل".<sup>2</sup> وقال السيوطي كذلك "يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا في التثنية والجمع".<sup>3</sup>

وتراعى هذه القاعدة في الأعداد، فنقول: "هذا حادي أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل؛ لأن المذكر يغلب المؤنث، ومثل ذلك قولك: خامس خمسة إذا كن أربع نسوة فيهن رجل كأنك قلت: تمام خمسة. وتقول: هذا خامس أربع إذا أردت أنه صير أربع نسوة خمسة... وتقول: ثلاثة اشخص وإن عني نساء؛ لأن الشخص اسم مذكر".<sup>4</sup>

### جمع المؤنث جمع مذكر:

أقرنت العربية جموعاً خاصة بالمذكر، وأخرى للمؤنث. إلا أن بعض الألفاظ المؤنثة جاءت على جموع خاصة بالمذكر، نحو: "جمع قاعدة وثائرة، وقائمة، ونائمة، وصائدة: قُعاد، وتُؤار، وتُؤام وصداد، وفُعال جمع خاص بالمذكر، والأصل فيهن أن يأتين على قواعد وتؤائر، وتؤائم، وصؤاد، إذ فواعل جمع خاص بالمؤنث".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 676.

<sup>2</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، 35/6.

<sup>3</sup> السيوطي: المبرج، 185/2.

<sup>4</sup> سيبويه: الكتاب، 561/3-562.

<sup>5</sup> السيوطي: الأشبه والمنظير، 95/3-96.

جمع فَعِيل: فُعْلَاء، وجمع فَعِيلَة: فُعَائِل، غير أنهم قالوا: امرأة فقيرة من نسوة فقراء. "وإنما جمع خليفة خلفاء، وفُعْلَاء إنما هي جمع فَعِيل؛ لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكأن واحداهم خَلِيف ثُمَّ جَمَعَ خلفاء، فأما لو جمعت "الخليفة" على أنها نظيرة "كريمة" و "حليمة" و "رغية" قيل: خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جُمِعَت "الخليفة" على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنها جُمِعَت مرة على لفظها، ومرة على معناها"<sup>1</sup>.

### المذكر خفيف وأشد تمكناً:

نكر سيبويه: "اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التانيث من التنكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يُعلم أذكر هو أو أنثى، والشيء نكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستقلون"<sup>2</sup>.  
علل الزجاج منع العلم المؤنث من الصرف بقوله: "وإنما لم تصرف جميع ما نكر في هذا الباب، لأن التانيث فرع من التنكير، والتنكير هو الأصل"<sup>3</sup>.

وذهب السجستاني إلى أن صرف الأسماء ومنعها يتناصى بعلّة الخفة والنقل:

"اعلم أن المذكر أخف من المؤنث، لأن التنكير قبل التانيث، فلذلك صرف أكثر المذكر العربي، وترك صرف المؤنث العربي، ولذلك استمرّ المذكر بغير علامة للتنكير، بل ليست للتذكير علامة، لأنه الأول"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ، 540/12 - 541، والأزهري: تهذيب اللغة، 408/7.

<sup>2</sup> سيبويه: الكتاب، 22/1.

<sup>3</sup> الزجاج: ما يصرف وما لا يصرف، ص 45.



وهذه القاعدة لا تتخلف إلا إذا سمي مذكر بصيغة المؤنث، يقول

سيبويه:

"إذا سَمَّيْتَ المذكر بصيغة المؤنث صرفته، وذلك أن تسمي رجلاً بحائض أو طامث"<sup>2</sup>.

### صيغة فعيل:

غلب على هذه الصيغة التذكير، ولم تخلُ علل النحويين من تأثير الثقافة التي قصرت هذه الوظائف على الرجال فقالوا: فلانة وصي فلان، وهي كفيلى، ووليى، وأميرنا امرأة.

علل الفراء مجيء هذا البناء بغير هاء بأنه "إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجزؤهُ على الأكثر من موضعيه"<sup>3</sup>.

وهجس بمثل ذلك ابن الأنباري، فقال: "ألا ترى أن الإمارة والوصية والوكالة الغالب عليها أن تكون للرجال دون النساء .."<sup>4</sup>.

لعل مشاركة المرأة في هذه الوظائف بعد ذلك ألجأ العلماء لأن يَشَقُّوا لهن صيغة تتوافق وجنسهن. ذكر السجستاني: "وربما قالوا: كفيلة، ووصية، وجريئة، ونحوها بالهاء على القياس، وعلى شركة المنكر"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يستدبر من هنا التميز أن المذكر رُفِلَ بحضور قيمي، فالأسماء المذكورة تكتفي بالإلف والإينس، فيما يفتقر بالأسماء للمؤنث، لعل هذا التميز دفع أحد الباحثين لانتظام هذا النظام: "هذا التميز بين العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها يعكس تميزاً آمراً بين المذكر والمؤنث في الأسماء العربية، وهو يميز كجمل من الاسم العربي المؤنث مملوياً للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية، فبالإضافة إلى تاء التأنيث - التي تميز بين المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية - يُمنع التمييز عن اسم العلم المؤنث، كما يُمنع عن اسم العلم الأعجمي سواء بسواء في هذه التسوية بين المؤنث العربي والمذكر الأعجمي. نلاحظ أن اللغة تلمس تمييزاً، وهنا اختلاف للخطاب السائد". ينظر: نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص(30).

<sup>2</sup> السجستاني: المذكر والمؤنث، ص 37.

<sup>3</sup> سيبويه: كتاب، 239/3.

<sup>4</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 61.

<sup>5</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 647.

### صيغة فاعل:

يُغلب على هذه الصيغة التذكير؛ لأنَّ نصيب الأنثى فيها قليل، ذكر ابن الأنباري: "إنَّ بالغاً وسافراً وعاشقاً نعت مذكَّرة ووصف بهن الإناث، فلم يؤنثن إذ كان أصلهن التذكير، والدليل على أنَّ أصلهن التذكير أنَّ الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بهن الإناث"<sup>1</sup>.

### تخليب المؤنث:

مالت العربية في عدد من المواضع إلى التأنيث، فلم يكن انحيازها إلى المذكر على إطلاقه، فقد أحصى محمد عبد الخالق عُصَيْمَة تأنيث الفعل وتذكيره في القرآن وخرج بجملة من النتائج:

- أنَّ القرآن أنث الفعل مع المجازي التأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 269 مرة، وذكر الفعل معه 57 مرة.
- أنث الفعل مع جمع التكسير المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، في حين ذكر الفعل معه 65 مرة.
- بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن 617 موضعاً، في حين أنَّ مواضع تذكيره لم تتجاوز 193.
- الغالب في القرآن تأنيث الرُّسل، فقد جاءت آيات التأنيث 26 آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدَّ سبع آيات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الحسن: المذكر والمؤنث، ص 37

<sup>2</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 142.

<sup>3</sup> محمد عبد الخالق عُصَيْمَة: دراسات لأَمْزِج القرآن الكريم، 7/ 488-489، ج 3، ص 1.

### تغليب الليالي على الأيام:

ذكر أبو علي: "اعلم أنَّ الأيام والليالي إذا اجتمعت غلبَ التأنيث على التذكير، وهذا خلاف المعروف من غلبة التذكير على التأنيث في عامة الأشياء"<sup>1</sup>.

### جمع المذكر جمع مؤنث:

تُجيز العربية أن يُجمع المذكر في بعض حالاته جمع مؤنث، ويتبعاً لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع أصناف من المذكر جمع التأنيث الشائعة، نحو:

إطارات، بلاغات، جزاءات، حسابات، خلاقات، خيالات، إعلانات، شعارات، صراعات، ضمانات، عطاءات، قرارات، قطارات ...<sup>2</sup>.

### تسمية المذكر بالمؤنث:

ذكر سيبويه أنَّ المذكر قد يوصف بالمؤنث "أما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر ووصفاً، فكأنه في الأصل صفة لسلعة أو نفس. كما قال (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة)"<sup>3</sup>.

### إلحاق المذكر علامات التأنيث:

ألحقت العربية علامات المؤنث بالمذكر، منها الهاء نحو قولك: "رجل باقعة وربعة، وصرورة للذي لم يحج، ونزوة للجان، وتعبية، وضحكة، وهمة".

<sup>1</sup> ابن سينا: المحصى، 115/17.

<sup>2</sup> في أصول الفقه، 59/2.

<sup>3</sup> سيبويه: الكتاب 3/ 237.

أما الألف الممدونة، مثل: رجل عَيَّاباء، وطَبَّاقاء، وبُسْر فَرِيثاء، ويوم ثَلَاثاء وبَرَآكاه للشديد القتال، ورجل ذو بَرَلاه إذا كان جيد الرأي.  
أما الألف المقصورة، نحو: رجل خَنَنِي، وزِنَعَرِي للمسيء الخلق، وجمل قَبَعَرِي إذا كان ضخماً شديداً، والْبَهْمِي نبت له شوك، وخزَامِي نبت ...<sup>1</sup>  
يُلاحظ من دراسة المذكر والمؤنث في اللغة، أن أكثر ما غني به العلماء هو دراسة التأنيث، حتى ليخيل أن المشكلة كانت تكمن في التأنيث، فأكثر ما صنّفه العلماء كان موقوفاً على أحكام التأنيث، والمؤنثات السماعية، ولعل أولية اللحن تومي إلى ذلك، فقد روي "أن هذه عصاتي، أول لحن سُمع بالبادية"<sup>2</sup>.

ويبدو أن تغليب المؤنث على المذكر ظل عدولاً عن الأصل، فالأشياء أصلها التذكير وفق هذه المنظومة اللغوية، ولكن ما ألجأ اللغويين إلى ذلك هو المعيار الصارم الذي رسموه لضبط اللغة وتقعيدها، فحين غلبوا التأنيث في بعض الحالات كانوا يحمنون ذلك على المعنى، أو يؤولونه بالمذكر لأنه أصل، فالفرع يقاس على الأصل عند اتحاد العلة وفي ذلك تأثر بأصول الفقه والمنطق.

وثمة إشارة أخرى، هي أن مؤسسة النحو ظلت حِكْراً على الرجال، فلا يتراءى لنا اسم امرأة، ففي إحصاء لتراجم (إنباء الرواة على أنباء النحاة) التي تجاوزت 976، لم تطلعن سوى امرأة تُعرف بابنة الكنيزي عُيَيْت بالنحو.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن السكيت: المدخل والمؤنث. ص 48-49.

<sup>2</sup> أبو البركات الأنباري: اللُغة في السرر بين المذكر والمؤنث، ص 67.

<sup>3</sup> بغر القنطري: إنباء الرواة على أنباء النحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

فيبدو أن المجتمع وفر للمرأة فرصة التعليم الديني، لحساسية منعهم من تعلم علوم الشرع، فأكثر ما برزت فيه النساء: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه...

## الدلالة والتحيز:

وثقت الثقافة الصورة النمطية المألوفة عن الجنسين، فدثرت الرجل بدور الفعل والقوة، وخلعت على المرأة صفات الضعف والعطالة، فسُلّلت كثير من هذه الأدوار إلى حظيرة اللغة، فانشجت مفرداتها بلبوس الثقافة السائدة.

إن حضور الأنثى والذكر ارتماء في ثقافة مركوزة في تربية المجتمع، وامتداد وجودي للذات التي بلّرت هذه الدوال، فأُسمى الذكر عصي التعريف، متراحب الدلالة، فيما تعيّنت الأنثى بدورها المعهود، ففاضت اللغة بتسمياتها حسب مراحل العمر، وبمفردات الجمال والزينة، وبتتبع أدوارها البيولوجية، وبألفاظ النكاح، وبصفات الحمودة والمذمومة... وغيرها من توصيفات لم تخل من آثار ثقافية اجتماعية.

ولعل مقاربة لتحقق المرأة في ألفاظ اللغة يُفصح عما نهجس به.

"قالمرأة" ترتد إلى فعل "مرأ" أي طعم، وهنا تلازم الطعم بالطعام، وتُجمع على غير اشتقاقها، فيقال: نساء ونسوة، وتُعرف بأنها مؤنث الرجل، والنساء تعني: "المناكح"، وهنا ارتباط المرأة بالجنس والإنجاب.

وهي "حرمة"، والحرمة: المنع، ويقال حرمة الرجل أي حرمة وأهله، والحريم يعني (النساء)، وفي ذلك إضفاء اللامساس على المفردة.

ويقال حليلة الرجل، وطلته/ خمرته، وهي قعيدته، وربضه، وهي ظعينة فلان، ويقال كانت تحت فلان؛ أي زوجه، وهي فراشه، وإزاره، ومحل إزاره، ومحل منزره، وأم العيال...<sup>1</sup>.

فهذه المفردات وغيرها تشير إلى دور المرأة في المجتمع، ونظرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أحوالها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا يفسر وفرة المفردات الحسية للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها.

" ذكر أبو زيد: امرأة مكمورة أي منكوحة، وهرج يهرج هرجاً، ونخب نخباً، فطاً فطناً، ونشل نشلاً، وفجاً فجناً، وشطاً شطناً، ورطاً رطناً، ولثاً لثناً، وقمطر قمطرة، ورطم رطماً، وكوم كوماً.

وقال أبو عمر: دحاه، وأرهاء، ونحمها.

وقال غير أبي عسر: باضعها، ولامسها، ومحزها.

ويقال: امرأة مكامة، أي منكوحة.

ويقال: الكشر والمحج والزغب، والجلج، والغش، والنخب...<sup>2</sup>

وعرض الثعالبي في (كتاب فقه اللغة وسر العربية) إلى عدد من أسماء النكاح، وقال إنها تبلغ مئة كلمة عن ثقات الأئمة، وتخبر الثعالبي بعضها، نحو:

"المحت، والمسح: النكاح الشديد

الدعس والعزد: النكاح بشدة وعنف.

والهك والهن والإجهاد: شدة النكاح، والرهز والدخز، والهرج...<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 350-351، ابن الأثير: فراهير في معاني كلام العرب، 2/ 63-65. وابن منظور: لسان العرب "مرآة".

<sup>2</sup> ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 264، ص 350-351.

وهناك ألفاظ عديدة تتعلق بالنكاح موزعة في تصاعيف اللغة، وما يُلاحظ من هذه الألفاظ أنها تنقسم بالإيحاء نحو هذه العلاقة، وإسناد الدور الفاعل للرجل، وحصر المرأة بالإيعاب والتلقي.

وتُستعلن أدوار الجنسين في اللغة، لتتبنى - إلى حد كبير - عن الثقافة والمجتمع التي تخلقت في أحناثهما. قال الخليل: "الفند: إنكار العقل من هَرَم، يقال شيخ مُفند، ولا يقال: عجوز مُفندة؛ لأنها لم تكن في شببيتها ذات رأي فتفند في كبرها"<sup>2</sup>.

ونذكر ابن مكي الصقلي: "السقاء والشجاعة من مناقب الرجال.

والسمن مذموم في الرجال، محمود في النساء.

والرُشح هو قلة لحم الوركين، محمود في الرجال مذموم في النساء"<sup>3</sup>.

ويذكر ابن يعيش أنه "لا يقولون للمرأة عوارة؛ لأن الشجاعة والجبن

من أوصاف الرجال لحضورهم الحرب، وكثرة لقائهم مع الأعداء"<sup>4</sup>.

لقد وقفت على عدد من أسفار اللغة، نحو: (ما اختلفت ألفاظه وانفقت

معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي،

والمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، والمترايف والمتوارد

لإبراهيم اليازجي)<sup>5</sup>.

وكان وكدي أن أستجلي صورة الذكر والأنثى في ألفاظ اللغة، وهل

أسهمت الثقافة في إضفاء مسطوراتها على أقاليم اللغة؟ فأنتهيت إلى جملة من

الإلمعات.

<sup>1</sup> الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 185-186.

<sup>2</sup> الخليل بن أحمد: العين، 49/8.

<sup>3</sup> ابن مكي الصقلي: تهذيب اللسان، 347.

<sup>4</sup> ابن يعيش: شرح للمصل، 67/5.

<sup>5</sup> ينظر: الملحق في نهاية الكتاب، أشرت قد أحصل أمثلة هذه المسألة لكثرتها ملاحظاً.

- مالت الثقافة إلى إضفاء صفات محايدة للجنسين تتسق والنمط المتجذر فيها، فظفر الرجال بسهم وافر من الصفات الجامعة لمناشط الحياة، مما يؤكد الدور الفاعل لهم.
- امتزجت صفات المرأة في هذا الإحصاء بدورها الذي أملاه عليها المجتمع، فهي الزوجة والأم والمعشوقة. لذا اندغمت هذه الأنوار بالألفاظ الملحقة بها.
- نالت الصفات السعوية للرجال سُهْمَةً كبيرة، فهم السادة، وذو العقل الراجحة وهم المستسمون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تشف عن سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير. فهم القادة السياسيون، والمنتجون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العقد والربط، وببدهم مقاليد الأمور، وهم المرّجع فيما حزب الأمة والمجتمع؛ لهذا اندغمت الصفات الملحقة بهم بالأنوار المتخللة مناحي الحياة، ولعل هذا الحضور للرجال ترك رواسمه في مفردات اللغة ودلالاتها<sup>1</sup>.
- اصطبغت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بمُسَخَّة جسدية بحت، مما يُفصح عن رؤى الثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أمّاً وزوجة ومعشوقة ولا بدّ لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأنوار، وكأنها رهينة الإيجاب والإمتاع.
- احتفى المجتمع بالمرأة المطّواع، والذلّول، والمذعان، والعاشق، والباهل، والستير، والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية

<sup>1</sup> ينظر: ص 176-178 من هذه الدراسة.



لجسد المرأة، فكاد هذا المخيال أن يختزل المرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجاً، فلا غرو أن تتزاحم الصفات الجسدية للمرأة قَبُولاً وذنماً، وقد رصدت واحدة وسبعين صفة جسدية محمودة للمرأة، وتسعاً وخمسين صفة جسدية مذمومة، فيما توارت الصفات الفاعلة التي تبرز الحضور النسوي في المجتمع<sup>1</sup>.

وثمة إلماعة أخرى طاغية في فضاء اللغة وتعيناتها، وهي أن الرجل غير معرف بجنسه، فهو يمثل الإنسان / العام / الشامل / المعيار، أما المرأة فهي محدودة الدور والتعريف.

### التحيز في المِخيال الشعبي :

تقوم أهمية التمثيلات الشعبية في أنها مرآة للحراك الاجتماعي والثقافي، فهي تكشف عن الطبائع المستكنة في المجتمع، وتشف عن طرائق التفكير، وفي ثناياها تقبع رواسب الحياة البدائية، والأسطورية، وموروثات الثقافة.

ولعل أظهر التحققات الشعبية تكمن في الأمثال، فهي قنطرة ناجعة للتجارب المتوارثة؛ لما تتسم به من تكثيف لغوي واختزال معنوي، فضلاً على ذلك السيرة والانتشار، فقليل "أستير من مثل"، ووصفت بأنها مصابيح الكلم. عملت الثقافة مباضعها في الأمثال، وسكبت في أعطافها بعض المسطورات ولا سيما العلاقة النازمة للجنسين، مما أفضى إلى ترسيخ معتقدات ثابتة، وقيم أخلاقية متوارثة، فظل الرجل في المِخيال الشعبي رديفاً للقوة والقوة، واختزلت المرأة في أطوار حياتها الجنسية، والصفات المحفورة في الذاكرة الجمعية.

<sup>1</sup> ينظر: من 164 - من 167 من هذه الدراسة.

إنَّ انعقاد الاتفاق على المعتقدات البدائية والأسطورية في الماضي والحاضر، ينبئ عن أهمية المخيال الشعبي في تجذير المفاهيم والأفكار، لهذا لا نلحظ تغيراً ذا دلالة في التوصيف المتكادّم والحادث للجنسين، فحضور الرجل في المخيال الشعبي صارخ، متعدّد التحقّقات، وهو ممتد في نسيج الحياة المختلفة، أما المرأة فقد اقترنت بمجموعة من القيم الرائدة حاكت لها ذاتها وطباعها، وعملت الأمثال على تعزيزها وإحاقها بذات المرأة، فهي وفقاً لهذه الوجهة:

- جسد ضعيف: نكّر في مجمع الأمثال: "النساء لحم على وضم"<sup>1</sup> يضرب في ضعف النساء وسرعة تأثرهن.
- عقل ناقص: قيل: لبأ المرأة إلى حمق"<sup>2</sup> يضرب عنراً للمرأة عند الغيرة وقيل: "ضل حلم امرأة فأين عيناها"<sup>3</sup>. يضرب في استبعاد عقل الحليم. وقيل: حدثت حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة"<sup>4</sup> يضرب في سوء السمع والإجابة، وقيل المرأة شعر طويل وعقل قصير.
- ذات كيد: قيل: كل شيء مَهة (يسر) ما خلا النساء وذكرهن"<sup>5</sup> وقيل كل بليّة سببها وليّة. والمرأة حية من تحت تبن.
- ليست أهلاً للمشورة\*: قيل: "أنا نذير لكل فتى وثق بامرأة"<sup>1</sup> وقيل: ما أمر العذراء في نوى القوم<sup>2</sup>، يضرب في ترك مشاورة النساء، وقيل: "طاعة النساء ندمة"<sup>3</sup> واسمع للمرء ولا تؤخذ برايتها.

<sup>1</sup> البتلان: مجمع الأمثال، 19/1.

<sup>2</sup> البتلان: مجمع الأمثال، 199/2.

<sup>3</sup> المعبر عنه: 419/1.

<sup>4</sup> الكري: فصل المقاتل في شرح كتاب الأمال، ص 50.

<sup>5</sup> العشري: المستقصى في أمثال كتاب الأمال، ص 50.

- قرينة الشيطان: وقيل "النساء حباثل الشيطان"<sup>4</sup>.
- مجلبة للعار والهَم: قيل: "عار النساء باقٍ"<sup>5</sup>، وقيل: موت البنات سُترة، وقيل: صوت حية ولا صوت بنية، وقيل: إني بغا العذاب يرافق النساء والكلاب.
- ضلع أعوج: قيل: "الضربة للسارية والمعنى للجارية"، والمرء بحال السجادة ما تنتظف غير بالخيط.
- ليست أهلاً للود: قيل: لا تُسكنوا نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهم بالغري، وعودوهن "لا" فإن "نعم" تجرئن<sup>6</sup>. وقيل: المرأة إذا أحببتك أدتلك وإذا بغضتك خانتك، "ولا تتق بامرأة، ولا تغتر بعال"<sup>7</sup>.
- اتخذ المخيال الشعبي إلى جانب الأمثال وسائل شتى لتدعيم مآثوراته، منها النصائح التي اكتست لبوس الحكمة، نحو:
- عليكم بالسرايري؛ فإنهن مباركات الأرحام ... ومن سرّه أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر، ... لا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور، ... وانتجبوا المناكح ... ، ومن صبر على سوء خلق امرأة

<sup>4</sup> قال ابن القُفُع: "إيالة ومشورة النساء، فإن رأين إلى أفن، وعزمين إلى وهم، واكفف عليهن من أنصارهن بحالك ياهن: فإن شدة الخجاف غير لك من الأريال، ولا تُنكئ امرأة من الأمر ما جاور نفسها، فإن أدتك أعم لحالها، وأرحى ليلها، وأدوم لحالها، وإنما المرأة رجانة وقبت نفهماسة (التي تُدثر شؤون البيت)، ابن قتيبة: عيون الأخبار، 78/4.

<sup>1</sup> الشعبي: غزال الأمثال، ص 315.

<sup>2</sup> الميدان: جميع الأمثال، 261/3.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 292/2.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، 384/3.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، 410/2.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، 51/4.

<sup>7</sup> ابن عبد ربه: العقد الفريد، 126/6.

أعطاه الله أجر آسية امرأة فرعون، ... وأجيعوا النساء جوعاً غير مُضِرٍّ وأعروهن عرياً غير مُنْزَحٍ، ...<sup>1</sup> وغيرها من المأثورات التي تسربت بحُلَّة النصائح لتحظى بالقبول والتسليم.

إن هذه المقولات وغيرها أسهمت في تظهير صورة المرأة في المخيال الشعبي، حتى غدت هذه الإيحاءات المُمَقَّطَة طبيعة لازمة في المرأة تلازمها من ومضة الميلاد، فهي مولود غير مُرْخَّب به، يُستقبل على هُون. وربما ألجأت نظم الاجتماع القديم، والصراع القائم بين القبائل العربية إلى هذا المنزع، إذ إن حياة تلك المجتمعات كانت تعتمد على الكلاً لسيرورة حياتهم، فكان يتعين الانتقال إلى حمى يوفر سُبُل العيش لهم ولمواشيهم، فلجأوا إلى الغزو والصراع بين القبائل الأخرى، وكان وقود هذا الصراع الرجال، فاحتفت القبائل بالذكور لما ينتظرهم من مهمات أثيلة لرفعة القبيلة، وتعصيد شوكتها.

أما الإناث فكان في مخيال السابقين - مجلبة للعار والهوان، لأنهن يُؤخذن أسيرات في الحروب، وهذا ما يعافه العربي، لذا ظلت الذكور تحظى بالسود والعلام وفقاً لتقسيم الأنوار التي أقامتها نظم المجتمع وقيم الثقافة. وإن كانت تغيرت بعض هذه الرؤى لتغير المعطيات، إلا أن هذا التراتب الاجتماعي للجنسين ظل ثابراً في تلافيف العقلية الاجتماعية؛ لأن دور الرجل تمثل في الإنتاج والتفاعل، فيما ظلت المرأة تمارس هواجسها عبر أسوار الهيكل المنزلي. وقد عبر المخيال الشعبي عن ذلك: "البنت لو قَدْ المخدة تنزل مثل المهدة"، "ويا مخفة البنات يا رايحة للممات".

<sup>1</sup> يُنظر: الشوكلي: الفرائد المجموعة في الأحكام الناصية، ص 119-135.

أما الولد فيستقبل بالحبور والبشر، ولو كان أحمق، قالت إحدى نساء العرب:

لست أبالي أن أكون مُحَمَّقة<sup>1</sup>  
إذا رأيت خصيئة مُعَلَّقة<sup>2</sup>

ويتم ترسيخ التمايز بين الجنسين منذ الصغر، فلأولاد ألعابهم الخاصة بهم كالسيارات، والأسلحة والأقلام، أما البنات فلهن أدوات المطبخ والعرائس وتشير الدراسات النفسية إلى "أنه يُسمح لصغار الأولاد باللعب بعرائس أخواتهم بين حين وآخر، ولكن يحتمل أن يكون الولد موضع سخرية إن تكرر ذلك مرات عدة، ولكن البنات قلما يُقدَّم لهن دمي السيارات والقطارات، ولا يُشجَّعن على القيام بالألعاب الخشنة، وقد يُوصفن بأنهن "مُسْتَرْجلات" إذا لم يتبعن الأخذ بالأنشطة الهادئة الرقيقة، أما الأولاد الذين يضيقون بالألعاب الخشنة ويلجأون إلى القراءة أو العزف على (البيانو) فيُوسَمُّون بالمختنين<sup>3</sup>... وفي ذلك ترسيم للأدوار المنوطة بهم في المستقبل.

ويوظف هذا المخيال القصص والحكايات لتمرير إملاءاته، فتلاحظ أن أدوار المغامرة والبطولة والشهامة مقترنة بالذكور، أما أدوار الضعف والتأثر والخوف فتأخذ طابعاً أنثوياً.

وتقترن الأنثى وفق هذا المخيال بالمنع والحرمة، فلا ينبغي النطق باسمها، إنما يشار إليها بأسلوب التكرة، أو المجهول، نحو:

مره، عيال، بنت، أهل، عقيلة، كريمة فلان، هي. هذه المسميات وغيرها تطلق على الزوجة - في الأغلب -، وكان ذكر اسمها محذور

<sup>1</sup> المحمقة: متحيرة الخلق.

<sup>2</sup> القراء: المذكر والمؤنث، ص 66.

<sup>3</sup> سوزانا مينر: سيكولوجية اللعب، ت: حسن عيسى، ص 230-231.

اجتماعي، لذا يتحرج الأطفال في سني الدراسة من إعلان اسم أمهاتهم للأقران؛ لارتباطها في مخيالهم بالمُحَرَّم والعيب. وتشيع عادة عند بعض النساء أن تُعرِّف المرأة نفسها بمدام فلان (زوجها)، أو أن تُضيف اسمها إلى زوجها - تأسيساً بالعُرف الغربي-، وفي ذلك اختزال غير واع لذاتها وكينونتها.

ولا تقتصر آثار لمخيل الشعبي على هذه التحققات، بل تمتد في نُسج المجتمع، لتشكيل الرؤى عن الكون والحياة طبقاً لتلك الوجهة.

لقد أسهمت عوامل عديدة في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، منها الأسطوري، والاجتماعي، والثقافي، فألقت هذه الموروثات نُسجها في تمثيلات اللغة، فالعلاقة بين الثقافة واللغة علاقة الفاعل بالمنفعل؛ لذا تتأثر اللغة برواسم الثقافة.

ويستلماً هذا الملمح إلى أن اللغة في (هَيُولِيَّتِها) محايدة، إذ تمثل ظاهرة مجردة من المحمولات التي قد تلحق بها من جراء المؤثرات الخارجية، إذن ليس بالممكنة أن نسم العربية بالتحيز. ثم نهزج إلى تعديل نظامها اللغوي، فتلك مغالطة منطقية كالذي يضع العربية أمام الحصان؛ لأنَّ تعينات التحيز تنوي في تضاعيف الثقافة والمجتمع، لا في جيلة اللغة، وبالتالي يتعين تعديل الثقافة وقيم المجتمع، لينعكس ذلك على التحققات اللغوية، فحين شاركت المرأة الرجل في مضارب الحياة، وتجاوزت دور حراسة الهيكل المنزلي، أفضى ذلك إلى تعديل المسطورات المصروغة عن المرأة، فأمست زميلة الرجل في مشروع الحياة، وتجلت آثار هذه الحالة في اللغة، وما عادت وطأة التمييز صارخة كسيرورتها في الماضي.

إنَّ غياب المرأة عن بعض التعيينات الجادة، أو ضالة حضورها لا يُعزى إلى اللغة ذاتها، إنما مردُّ ذلك للثقافة المُتخلِّلة ذُمات المجتمع، ويقتضي ذلك أن نحلَّ مكانها قِيماً تتسق وإنسانية الجنسين، حينها يتغيَّر الخطاب المُنجز.

ولعلَّ محاولة بسيطة لاستقراء التراكييب الموروفولوجية في العربية، تُفُفنا إلى الطاقات الكامنة فيها، لتتفِي عن ذاتها التَحَيُّز لجنس دون آخر، فالأمر مرهون بمن يوظف الخطاب لغايات مُعيَّنة.

## الباب الثالث

### الخصائص اللغوية للجنسين

- الخصائص الصوتية والنطقية.
- الخصائص النحوية والصرفية.
- الخصائص الدلالية.
- الخصائص الأسلوبية.
- السلوك اللغوي غير اللفظي.





لفتت الخصائص اللغوية للجنسين أنظارَ الدارسين، فراحوا يتتبعون الظاهرة في لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية، ووقفوا إلى جملة من السمات التي تميز لغة الرجل من لغة المرأة.

ولكن هذه الجهود اكتفت في البدء لبُوس الانطباع والإشارة، ولم تستقل برأسها، فنُثِرَتْ في نرج الحديث.

وقد أومض علماء العربية قديماً إلى التمايز اللغوي بين الجنسين، ونلاحظ ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب الندية: "إنَّ أكثرَ من يتكلم بهذا الأسلوب النساء" <sup>1</sup>.

وعلق الباقلاني على قول امرئ القيس "لك الولياتُ إنَّك مرْجُلي" بقوله: "وهذا من كلام للنساء" <sup>2</sup>.

ولعل التوسّع في درس التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة ينبى عن الاحتفاء بهذه الظاهرة، فخصصت العربية صيغاً وألفاظاً للنساء وحدهن، نحو: كاعب، حائض، حامل، مريض، ناهد، طالق، ...

"فظاهرة التأنيث صرفياً ونحوياً في اللغة العربية محورها المرأة (في الأصل على الأقل)، وهي ظواهر متشعبة ومنوعة، ولكنها جميعاً تُرَدُّ إلى فكرة واحدة، وهي تفرُّد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي خاص بها هو خطاب التأنيث في العربية" <sup>3</sup>.

أما في العصور الحديثة فلم تكن العناية بلغة الجنسين على أيدي اللغويين، إنما نهض بها علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)، فحين عرضوا

<sup>1</sup> ابن جني: التمع في العربية، ص 12.

<sup>2</sup> الباقلاني: إحصاء المقراء، ص 81.

<sup>3</sup> كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص 21.

للسعوب البدائية أشاروا إلى هذه الفروق اللغوية للجنسين، نحو ما قامت به الدراسات في القرن السابع عشر للخلاف اللغوي في مجتمع الهنود الكاريبيين. وتواصلت هذه الجهود من خلال الإرساليات الأوروبية لسعوب آسيا وإفريقيا.

سجل علماء الإناسة ملحوظاتهم عن السعوب الآسيوية والإفريقية، وبعض السعوب البدائية، ذكر فريزر (Frazer) في بداية القرن العشرين أن بعض السعوب الإفريقية تحظر على نساءها البوح باسم حميها أو أحد أقاربها الذكور، أو أحد مشتقات هذه الأسماء.

وانتفت بعض الباحثين في الإناسة إلى لغة الرجل والمرأة حين درس بعض السعوب الإفريقية والاسترالية والهنود الأمريكية ...<sup>1</sup>.

ازدادت العناية بالتمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماء الاجتماع الباحثين في حقل الإناسة، فربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام. ولم تنب هذه الانطباعات نتائج الملاحظة وحسب، بل انبرى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية؛ للوقوف إلى الخصائص اللغوية للجنسين، والعلل الكامنة في هذا التباين.

وعلى الرغم مما بذله علماء الإناسة وعلماء الاجتماع من وكد في الإشارة إلى موضوع اللغة واختلاف الجنسين، إلا أن نهوض الحركات النسوية أدكى جذوة البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، فأفردت دراسات تُعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيز اللغوي وسبل تعديله.

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: لغة واختلاف جنسين، ص7، نقلاً عن:

Japanese Women's Language, by J. Shihamoto, p.4.

برز من هؤلاء الباحثين والباحثات:

- فان جنكن (Van Genneken): De sociologische structuur

der Neder landsche, 1913، "بناء علم الاجتماع في هولندا".

ويسبرسن (Jespersen): Language: Its nature, development

anc. origin, 1922، "اللغة: طبيعتها، تطورها، أصلها".

وكي (Key): Linguistic behaviour of male and female,

1972، "السلوك اللغوي للذكر والأنثى".

وميلر وسويفت (Miller and Swift): Word and women, 1972،

"الكلمة والنساء".

ولاكوف (Lakoff): Language and women's place, 1973،

"اللغة ومكانة النساء".

وتابع الباحثون دراسة السلوك اللغوي للجنسين، فظهرت دراسات، منها:

ثورن وهنيلي (Thorne and Henely): Language and Sex, 1975،

"اللغة والجنس".

وكيت ميليت (Kate Millett): Sexual Politics, 1977، "السياسة

الجنسية".

وايكنز وإيكنز (Eakins and Eakins): Sex differences in human

communication, 1978، "الاختلافات الجنسية في التواصل الإنساني".

وياغيلو (Yaguello): Less mots et les femmes, 1978،

"الكلمات المشتقة والمرأة".

وسيندر (Spender): Man made language, 1980، "لغة من

صنع الرجل".

- وكامرون (Cameron): Feminism and linguistic theory, 1985، "النسوية والنظرية اللغوية".
- وكوتس (Coates): Women, men and language, 1986، "النساء، الرجال، اللغة".
- دي بروور ودوريان دي هان (De' de Brouwer and Dorian de Hann (eds) )
- Women's Language, Socialization and Self-image, 1987.
- "لغة النساء، المخالطة والصورة الذاتية".
- آن باولز (Anne Pauwels) Women changing Language, 1998.
- كامرون (Cameron (ed) ) "النقد النسوي للغة".
- وغيرها من الدراسات ...

لقد احتفت اللسانيات الاجتماعية بعامل الجنس متغيراً مستقلاً في الملوك اللغوي، إضافة إلى العامل الاجتماعي، والعامل الاقتصادي، وعامل السن.

في البدء كان الاهتمام مُنصبّاً على اختبار المشاعر والعواطف الخاصة بالفرد، سواء كان رجلاً أو امرأة عند الحديث عن الخصائص اللغوية للجنسين، فالجارات الحذسية في حديث النساء أو الرجال توميء إلى اختلافات بينهما على المستوى اللفظي أو التركيبي، أو الدلالي ... ولعل ذلك ما دفع الدارسين إلى اختبار هذه الخصائص المانزة للجنسين وربطها بسياقها.

ولكنّ ثمة مُشكل اعتاص على الباحثين، هو: هل الاختلافات اللغوية بين الجنسين بمكنتها أن تُفرد لغة للرجل وأخرى للأنثى؟ تباينت آراء الدارسين في ذلك، فمنهم من رفض فكرة الإقرار بلغة للمرأة مُباينةً للغة الرجل، "ومن هؤلاء يسبرسن (Jespersen)، إذ عدّ الفروقات اللغوية بين الجنسين خصائص تألف في منظومة اللغة، ولا تستقل بذاتها.

ودعا كرامر (Kramer) إلى إجراء بحث عن الإشارات إلى الجنس في اللغة على وجه العموم؛ لمعاينة لغة الرجل ولغة المرأة، ولا سيما أنّ ثمة ملامح في اللغة التقليدية المستعملة محظورة على النساء، وأخرى تتشج بمُسَخة أنثوية، نحو:

١. "lovely, sweet, charming, darling, pretty, nice, cute, precious".  
 إنّ اختلاف لغة الرجل عن لغة المرأة يتناسب تناسباً طردياً والاختلاط القائم بين الجنسين، فالشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، تبرز فيها لهجة الرجال مباينة للهجة النساء.  
 "وكلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين تكثر مظاهر الاختلاف اللغوي، حتى إنه لينشأ لكل منهما من جرّاء ذلك -أحياناً- لهجة تختلف اختلافاً بيّناً عن لهجة الآخر، أو تحتوي لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تُستخدَم في اللهجة الأخرى، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص.

<sup>١</sup> The Female World, by Jessie Bernard, PP, 380-382.

وكلما خفت قيود الاختلاط بين الجنسين يخف هذا الاختلاف اللغوي، فنقتصر مظهره على بعض الفروق البسيطة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب<sup>1</sup>.

وذهب ماكس أدلر Max Adler إلى "أن الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر؛ لأن الحياة الاجتماعية للجنسين كانت محافظة ومغلقة، على غير ما هو متحقق في العصر الراهن"<sup>2</sup>.  
تفترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية، فالمرأة تميل إلى المحافظة في اللغة أكثر من الرجل، وهي أكثر التزاماً بالأعراف اللغوية والاجتماعية، ولعلها أكثر مقاومة للتغيير، ويمكن أن تُرد حساسية المرأة نحو المعيار اللغوي إلى وضعها الاجتماعي غير الآمن، فتسعى لتحقيق المنزل، وإظهار التضامن.

"إن أفراد لغة المرأة يؤكد فكرة التنوع اللغوي المصاحب لتنوع الأوضاع الاجتماعية، والتمثيل لهذا النوع باختيار لغة المرأة لما تنظمه من ظواهر تخفى على الكثيرين، وهي في الوقت نفسه تقدم مورداً ثرياً للمهتمين بشؤون المرأة"<sup>3</sup>.

لم تقتصر الدراسات التي عاينت السلوك اللغوي للجنسين على الوصف، بل ربطته بالمتغيرات الفاعلة كالعوامل الاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت الفروق بين الجنسين تُعزى إلى العوامل البيولوجية وحسب.

وأظن أن الإلماع إلى بعض الخصائص اللغوية للجنسين منبأة للتزامن بين اللغوي والاجتماعي. لذا عرّضت للخصائص اللغوية للجنسين على

<sup>1</sup> على عبد الواحد وافي: اللغة واهميج: ص187.

<sup>2</sup> Sex Differences in Human Speech, by Max Adler, P53.

<sup>3</sup> كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص206.

المستوى الصوتي والنطقي، والمستوى النحوي والصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبي، وقللت ذلك بالسلوك اللغوي غير اللفظي.

وقد اقتصرت أسلوب "تحليل المضمون" في جمع المادة، إذ إن هذا الأسلوب يقوم على أساس أن السلوك اللغوي هو نوع من السلوك الإنساني، وبالتالي فهو تعبير عن حدث ما<sup>1</sup>.

ورأحت في رصد الخصائص اللغوية للجنسين بين ثلاثة أنواع من تحليل المضمون.

1. التحليل الكمي الذي يعتمد على القياس والإحصاء باستخدام الأرقام، وقياس التكرار، مما يعكس درجة الاهتمام بفكرة ما.
2. والتحليل النوعي: الذي يقوم على أساس البحث عن وجود صفة معينة أو عدم وجودها.
3. التحليل الكيفي: الذي لا يعتمد على القياس والإحصاء بل يقوم على انطباعات المحلل واستنتاجاته عن المادة.

وقد صدرت في هذه الدراسة عن الافتراضات التي قررها الباحثون والباحثات حين درسوا السلوك اللغوي للجنسين.

### الخصائص الصوتية والنطقية:

يقف الباحث في السلوك اللغوي للجنسين على جملة من السمات الصوتية والنطقية تميز الرجال من النساء، منها:

أن النساء لديهن مجال واسع في القدرة على الترنيم باستخدام مستوى عالٍ من طبقات الصوت الذي يتجنبه الرجال عادة، وهذا المستوى من طبقات

<sup>1</sup> للاستزادة: ينظر: ناتاليا برنكو: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سَوم، ص 56 وما بعدها.



الصوت يمكن أن يكون مصحوباً بتعبير عاطفي، مثل السؤال التابع في نهاية الجملة.

- تتفوق البنات في استخدام الخصائص الصوتية فوق التركيبية (كالتنغيم، والنغمة)، ويلاحظ ذلك جلياً حين يسرّد ولد أوبنت قصة ماء فالينت توظف القلويّنات الصوتية في سردها أكثر من الولد.
- الإناث يستعملن أنماطاً من التنغيم/ تنغيم الجملة تزيد عما يستعمله الذكور، ويُلَفّ تنغيم المرأة غلالة من العاطفة واللّين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحاً من أصوات الذكور.
- النساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة تتشابه مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، فالنساء والأطفال أحدّ أصواتاً من الرجال؛ لأنّ الوترين الصوتيين للأطفال والنساء أقصر، وأقل ضخامة، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعددذبذباتهما في الثانية<sup>1</sup>.
- تميل المرأة في الإلقاء والأداء النطقي للكلام إلى السرعة النسبية، وقواعد النبر وطرائق توزيعه في الجملة والعبارة، وكذلك الحال في موسيقى الكلام.

"وتتراوح تردد نغمة الأساس عند الذكر العادي ما بين 100 و 200 ذبذبة في الثانية، ويزيد تردد نغمة الأنثى العادية على ذلك بطبقة موسيقية واحدة One Octave ؛ أي يكون ضعف تردد نغمة الأساس عند الذكر، ويبلغ

<sup>1</sup> يتراوح طول كل وترين صوتيين حوالي 1/2 9 سم، وعند تمام البلوغ يتراوح الوتر عند الذكر بين 17 و 23 سم، وعند الأنثى من 12 1/2 إلى 17 سم. ويتميز تكوين وترين صوتيين عند الأنثى باشماله على كمية أقل من الأنسجة العصبية والعضلية والدهنية، ومن ثم يكونان من حيث الطول والعرض أقل من وترين الذكر ...

ينظر: سعد مصباح: دراسة السمع والكلام، ص 218.

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 8.

المعدل النمطي لتردد صوت الذكر 120 ذبذبة في الثانية، وصوت الأنثى 220 ذبذبة في الثانية<sup>1</sup>.

- تستخدم المرأة النبرة الخافضة لأنها بلا قوة، وبالتالي أكثر ضعفاً، وتظهر اهتماماً عن طريق سؤالها ومقاطعتها. وتظهر طلاقة أكثر من الرجل.

فقد أُجريت دراسة لإنتاج الكلام للرجل والمرأة، وخلصت إلى أن: المرأة تتكلم 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل، و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة<sup>2</sup>.

- النساء أميل إلى اتباع طريقة النطق الحديث، فقد انتهى (جوشات) في دراسته للفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التي تضم المنطقة الفرنسية في سويسرا إلى أن النساء أشد اتباعاً لطريقة النطق الحديث، ودفعه ذلك ليقرر أن دور المرأة في التطور الصوتي، أكبر خطراً من دور الرجل، وعَلَّ ذلك بأن النساء لا يعشن جيلاً وحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهن أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى، والأمر على العكس من ذلك للرجال؛ إذ إن مجال نشاطهم هو المصنع أو المزرعة أو المكتب، حيث يشاركهم هذا النشاط سواهم ممن يماثلونهم في السن.

<sup>1</sup> سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص 218.

<sup>2</sup> Hesitancy in Female and Male Speech, by Lia Brekweg, p18.

ومعنى ذلك أن البيئة اللغوية للمرأة بيئة الجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة الشباب والكهول<sup>1</sup>.

وتلحظ هذه الظاهرة بين الطالبات في الجامعات، حيث تميل الطالبات - حتى أولئك القادمات من بيئات قروية أو بدوية - إلى اتباع لغة أهل المدن، فيرقن الأصوات وينطقن القاف همزة إلى غيرها من الظواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن؛ ظناً منهن أن ذلك أقرب إلى التحضر والرقي.

وقد أجريت دراسة لبيان الوظيفة الاجتماعية في التنوع اللغوي، واتخذت الدراسة لهجة عمان عينة ممثلة، وخلصت إلى أن: المرأة في اللهجة الأردنية تحرص على لفظ /ق/ رمزاً للدرجة والرتبة الاجتماعية (البرستيج). ويميل الرجال إلى نطق [ق] "g" كنطق الجيم القاهرية؛ لأنهم يعتنون ذلك أصلب، وأكثر رجولة.

ويتجنب بعض المراهقين الأردنيين المظاهر الأنثوية مثل /ه/ بدلاً من /ق/ ويعدونها لغة مخنثة، ويفضل هؤلاء أن يستخدموا المظاهر الذكورية التي منها [ج] بدلاً من [ق] /ك/ لشعورهم أنها مناسبة للهوية الذكورية<sup>2</sup>.

وترى كامرون (Cameron) "أن الرغبة في التميز لدى النساء يدفعهن إلى ترقيق أصواتهن وليست عوامل فسيولوجية"<sup>3</sup>.

- تميل المرأة إلى ترقيق الأصوات غالباً، ولا سيما أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) وهذه الأصوات لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، بيد أن المرأة تنزع في نطقها إلى الترفيق، فتشرب الطاء تاء،

<sup>1</sup> يسمون اللغة بين أفراد المجتمع، ص 36.

<sup>2</sup> Social Functions of Language Variation, by Hassan Abd-El-Jawad Al-Abhath. American University of Beirut. 1986, PP 22-26.

<sup>3</sup> Feminism and Linguistic Theory, by Cameron, p 52.

والظاء دالاً أو زائياً، والصاد سيناً، وتَنطُقُ الراء المفخمة كالراء المرققة أخذاً بالترنجة.

- يميل الرجال وامراهقون الذكور في الأصوات الشفوية والأصوات الأنفية إلى النطق من الأنف؛ لاعتقاد هؤلاء أن هذا النطق أكثر حرماً وخشونة.

وفي لغة التودد والغزل تبرز الأصوات الخفيفة والأنفية عند الذكور والأصوات الشفوية، وأصوات القهقهة تُسنع من الإناث. وتتميز أصوات الذكور من الإناث عند ممارسة التقليد الأزدرائي.

- يكثر في حديث النساء الأصوات الحشوية أو المطاطية، نحو: م م، هـ م م، آ آ م، لإظهار الاهتمام بحديث المتكلم والتفاعل معه.

وترى هيرشمان (Hirshman) أن النساء يؤكّنن الدعم والانتباه والموافقة من خلال استخدام mm, hm, hmm، وهذه الخصائص لوحظت في الحديث الأنثوي- الأنثوي أكثر من الحديث الأنثوي-الذكوري<sup>1</sup>.

- يميل الأطفال الذكور إلى التنغيم الهابط والمستوى أكثر من الصاعد، ولكنّ البنات يوظفن التنغيم الصاعد أكثر من التنغيم المستوي والهابط.

- تتفوق البنات على البنين في الطلاقة اللغوية والتهجّي في مختلف المراحل العمرية، إلا أن الفرق سرعان ما يتضاءل في سن 72 شهراً.

وفيما يتعلق باضطرابات الكلام وعيوبه فتبين أن الذكور لديهم عيوب كلامية كالتأتأة والتلعثم تفوق ما لدى الإناث بخمسة أضعاف.

<sup>1</sup> The Female World, by Jessie Bernard, P 379.

"ويشير ميلر (Miller) إلى أنه في معظم مستويات الأعمار كان كلام الذكور أقل وضوحاً، وتكون نسبة الكلمات المفهومة في سن سنة ونصف 38% لدى البنات في حين تبلغ 14% لدى الذكور.

وتصل البنات إلى مرحلة السيطرة على الأصوات في عمر السادسة والنصف، في حين يبلغ الأولاد ذلك في السابعة والنصف<sup>1</sup>. ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن الأولاد أكثر ارتباطاً بالألعاب الساكنة كالمكعبات والسيارات، والأسلحة، ... وغيرها من الألعاب التي لا تحمل قيمة حوارية، فيما ترتبط البنات بالعرائس وأدوات المطبخ، وهذه الألعاب تنطوي على قيم حوارية عالية<sup>2</sup>.

ينضاف إلى ذلك أن البنات أكثر توحداً مع أمهاتهن، فالتواصل والحوار يكون أكثر وضوحاً وحرية من الأولاد الذين يتوحدون مع آبائهم الذين يرتبطون بمهنتهم، فيقل التواصل والاختلاط مع أبنائهم.

### الخصائص النحوية والصرفية:

تميل المرأة إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر النبرة التساؤلية عند تأكيد شيء، نحو: أليس كذلك؟ هل توافقتني؟ هذا هو النهج الصحيح، أم لا؟ ...

وتتطلع المرأة من استخدام السؤال القصير Tag question لبحث المعنى دون مخاطرة كبيرة.

وتفترض روبين لاكوف (Robin Lakoff) "أن استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجد؛ لأن

<sup>1</sup> ينظر: مباح حارم: النزوة الشعرية للأطفال العرب ورعايتها، ص55 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد مجاز عمر: اللغة والمخاطبات الجسديتين، ص149.

مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أن تصدر قراراً، وبالتالي عدم الثقة بها لتحمل المسؤولية.<sup>1</sup>

وتتسم الأسئلة القصيرة ببعض الخصائص، منها: أنها تُشتق من أي جملة مثبتة أو منفية بشرط أن تصرح العبارة برأي المتكلم، وهي أو هو لديه السبب لأن نكون غير متأكدين من رأيه<sup>2</sup>.

ويبدو أن استخدام الأسئلة القصيرة بتنغيم صاعد مظهر من مظاهر تأدب المرأة، وترك الحديث مُشروعاً.

- تُكثر بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنت/ أنتِ، لك/ لكِ، نحن/ لنا، مما يضيف تفاعلاً وتواصلًا على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمخاطب/ة أكثر من الرجل.

- تقلل المرأة من التراكييب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فهي أميل إلى استخدام الأسلوب المؤدب الذي لا يثير تحيزاً للمخاطب، فيشيع في حديثها: إذا تكرّمت أغلق الباب، من فضلك عمل كذا، إذا سمحت ...، وتستخدم لوازم سابقة للطلب مع من تربطها بهم علاقة حميمة، نحو: يا عزيزي/ يا حبيبي/ يا نور عيني/ يا روعي، تريد كذا ...

- تكثر في لغة المرأة التراكييب الشكلية Modal التي تشير إلى أنواع الحديث، والإمكانات والاحتمالات، والشك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيستعمل كلمات، مثل: أظن، يتهاى لي، أتصور، أتوقع، يمكن، يُحتمل ...، وهنّ يستعملن هذه الكلمات كثيراً لإظهار الغموض وعدم الجزم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> The Feminist Critique of Language, by Deborah Cameron (ed), p 246.

<sup>2</sup> Women's Language, p 176.

<sup>3</sup> Male and Female Language, by key, P. 75

- تميل المرأة في حديثها إلى الألفاظ المدعّمة والمبالغة لتعضّد فكرتها، نحو: رائع كثير، كبير، أبداً، جداً، مطلقاً، هائل، تماماً، ...
- تستخدم المرأة الأسماء أكثر من استخدام الأفعال، فهي تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي، فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة.

"ويعلّل بعض الدارسين أنّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء مآله إلى طبيعة الجنس، فالتعبير بالأحداث يفضي إلى سيطرة فاعلة، أما التعبير بالأسماء فيعني قبولاً والتزاماً.

وينسحب ذلك على استخدام المرأة للأفعال اللازمة والسكونية، في حين يميل الرجل إلى الأفعال المتعدية المتضمنة حركة ونشاطاً، لأنّ الرجل ينحو إلى الفعل والسيطرة<sup>1</sup>.

- تستخدم المرأة جمل التعجب، والجمل الاعتراضية، والأدوات والحروف أكثر من الرجل فيشيع في حديث المرأة استخدام: حقاً، صدقاً، فعلاً، فعلياً، ما أروعها! ما أجملها!، (ما أفضعها!)، ما أذهأ! ... وهذه أساليب مألوفة، أو مكّمة لا معنى لها كما يقرر اللغويون، إذ إنّ الجمل الاعتراضية والمكّمات (التي ليس لها دور وظيفي فيما يخص المحتوى) تُضعف حقيقة الشيء المراد بثّه. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه الأساليب تحدّد وظيفة اجتماعية (كالسياق، والإقناع والتنوع...) وتربط بين المتكلم والمخاطب، فحين نسمع في الإنجليزية هاتين الجملتين:

- a- Oh dear, ...
- b- Shit, You've, ...

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص 111، نقل عن:

Language, the Sexes and Society, by Philip, Smith, p53.

فمن المتوقع أن نصنف الجملة الأولى بأنها لغة امرأة، والجملة الثانية  
Shit, You've... لغة رجل\*، ولو استخدمت المرأة الجملة الثانية لاستهجن  
المستمعون ذلك، ونعتوها بالمسترجلة<sup>1</sup>.

وأحسب أن انتحاء المرأة للصفات الدالة على قوة العاطفة يُلمح إلى  
مزيد من تأكيد الفكرة والتأثير في المستمعين/المستمعات، لذا تتكرر ألفاظ  
المجاملة والمبالغة، مثل: فضيع، رائع، حباب/حبوبة، زين/زينة، ياخذ العقل،  
حلو، جذاب، جميل، لطيف، لذيذ، فتان، فائق، (يهوس)، (يجنن) وأحياناً  
تستبدل (شو) بما التعجبية للتعبير عن التفاعل مع الحدث.

- النساء أكثر استخداماً للجميل المفتوحة غير المكتملة والمترددة وغير  
المحددة، فهن يقفزن من جملة إلى أخرى دون وضع نهاية لجميلهن، لذا  
يقسم كلام المرأة بالتنوع وتراسل الأفكار، أكثر من حديث الرجل الذي  
يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات.

وترى لاکوف (Lakoff) "أنّ كلام المرأة يبدو أكثر تأدياً من كلام  
الرجل، وأحد معالم التأدي في الكلام ترك النقاش مفتوحاً، وعدم فرض الرأي  
أو الفكرة"<sup>2</sup>.

\* نلاحظ أنّ تعبيرات دعاء القوة كالقنصر والسخط والسباب موقوفة على الرجال ، أما التعبيرات الضعيفة  
فهي للنساء، ويمكن أن تتساءل ماذا نعني بالقوى، ولضعف إذا كانت هذه الحروف (حروف التعجب أو  
صيده) بالفعل لا معنى لها؟.

إنّ الفرق بين استخدام shit (سحقاً) أو damn (للعنة)، أو واحدة من عبارات اللعنة الأخرى، وبين يا  
عزيزي، أو يا فلهي، ... يكمن في قوة التعبير عن الشعور لذلك يمكن القول إنّ اختيار أداة أو عبارة  
التعجب، أو السخط، عائد إلى أي مدى يسمع الشخص لنفسه أن يفعل لموقف ما.

\* See: The Feminist Critique of Language, p 245.

<sup>1</sup> Ibid. P. 246

<sup>2</sup> The Feminist Critique of Language, p 247.



وثمة تحليل آخر "أنَّ الجمل المفتوحة نتاج القلق والاضطراب وعدم الثقة لدى المرأة"<sup>1</sup>.

## الخصائص الدلالية:

تَنَهَّج المرأة في سلوكها اللغوي سَبَلاً تمنحها الاحترام والتقدير، لذا تميل إلى اتباع العُرف اللغوي والاجتماعي. أما الرجل فهو أكثر خروجاً على القار، وأقل التزاماً بالمسْطُورات الاجتماعية. "فالمجتمع يفرض على الرجل والمرأة أنواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسومًا يختلف عن الآخر. ويمكن القول: إنَّ اللغة تعكس هذه الحقيقة الاجتماعية ذاتها، فحديث أو (كلام) الرجل والمرأة لا يختلفان وحسب، بل إنَّ كلام المرأة أفضل اجتماعياً من لغة الرَّجُل، وهذا يعكس الحقيقة الاجتماعية التي تنتظر من المرأة سلوكاً اجتماعياً أرقى من الرجل يتسق ودورها المرسوم"<sup>2</sup>.

- تنأى المرأة عن الاقتراب من الألفاظ ذات الدلالة النابية أو الجارحة، وتفضّل التلميح أو الإيماء، إذا اضطرها الموقف.

يذكر هدسون (Hudson): "أنَّ النساء تميل نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى الخلفية الاجتماعية نفسها، وهي نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة المتواضع عليها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Women's Language, p 142.

<sup>2</sup> محمود أبو زيد: اللغة بين الثقافة والضمير، ص 186.

<sup>3</sup> هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

ويُلاحظ أنَّ المرأة أقل استخداماً لأجزاء معينة من الجسم كالفخذ، والقفأ،  
والثدي، والأعضاء التناسلية للجنسين .... أما الرجل فلا يأنف من ذكر تلك  
الألفاظ صراحة.

ولعل ذلك ينسجم مع التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى، فسلوك الأنثى  
مشروط بهالة من المحرمات (Taboo) يجب مراعاتها، أما الذكر فله فضاءه  
الذي يمنحه حرية وجرأة.

- يحرص الرجل حين يخاطب المرأة على انتقاء الكلمات التي تصطبغ  
بدلالة الاحترام ومراعاة كرامة المرأة، لذا يتجنب الألفاظ غير اللائقة  
أو تلك التراكيب التي تحتمل تفسيرات متعددة.  
ويتردد الرجل في تداول النكات البذيئة، أو السباب الجارح على مسمع  
من النساء.

- تتفوق المرأة على الرجل في وصف الحالة "الرجل والمرأة قد ينظران  
إلى حائط له ظلال زهرية، فيصفه الرجل بأنه أحمر فاتح. أما المرأة  
فتنتعه بأنه: بنفسجي زاه"<sup>1</sup>.

- تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة واللينة المأخذ، أما الرجل فيشرب حديثه  
ألفاظاً صعبة ومعقدة، وقد يعود ذلك إلى أنَّ المرأة تبتغي التأثير  
والتواصل مع المخاطبين/ المخاطبات، أما الرجل فهو أميل إلى  
استعراض معارفه وإبداء تفوقه.

- يتحدث بعض الرجال في كلامهم غير الرسمي عن الموضوعات  
المجردة والتقنية والرياضية وعن أعماله ومشروعاته ... وتفضل

<sup>1</sup> The Feminist Critique of Language, p 244.

بعض النساء التحدث عن العائلة والأصدقاء والصدقات، والأمور البيتية، وبعض الطقوس الاجتماعية، ...

- تحمل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين، فالسيد هو الرجل المحترم، أما السيدة: فهي المرأة المتزوجة.

- ابن شارع: غير المؤتب.

- بنت شارع: لقيطة، أو مؤمس.

- وقع الرجل: تعثر، أو أصيب بمكروه.

- وقعت المرأة: أي سقطت في الرذيلة.

وغيرها من الألفاظ التي تكتسي غلالة من ثقافة المجتمع السائدة.

تميز المرأة الألوان مئزاً دقيقاً أكثر من الرجل، فتشيع على ألسنة النساء - وخاصة المتطلعات نحو الذرّة - ألوان: الأحمر، والعنابي، (الموف)، والبصلي، والكموني، الفوشي، والأرجواني، والبيج، والطحيني، والكستائي، والمكري، والنيلي، والتركوآز، والرصاصي، والسّامي، والذهبي، والكريمي، واللازوردي، ...

أما الرجال فيميلون إلى المقاربة في الألوان، وتتردد لديهم ألوان بأعينها: كالأبيض، والأزرق، والأخضر، والأسود، والكحلي، والبني، والسكني، ...

ويعزو بعض الرجال اهتمام المرأة بالتفريق بين الألوان إلى سذاجة المرأة وثقافة هذا الصنيع، فلا يتوقع من المرأة أن تتخذ قرارات في الأمور المهمة لذا تتشغل بتسمية هذا أرجواني، وذاك فيروزي.

وقد اتفق على أن هذا التفاوت الكلامي يوحى إلى التفرقة الاجتماعية، فلا يستطيع أحد أن يضع التشريعات ضد استخدام بنفسي وعنابي من قبل النساء أو إجبار الرجال على استخدامها.

ذكرت لاکوف (Lakoff): "أنها سمعت رجلاً يضحك ضحكات متتالية؛ لاستماعه نقاشاً بين شخصين حول غلاف الكتاب إن كان بنفسي أو عنابياً، فالرجل يرى أن هذا الحوار مسل، لأن الانكباب على الأمور النافهة مضيعة للوقت"<sup>1</sup>.

وأرى أن ارتباط المرأة بالألوان مبعثه شغف المرأة بالأناقة والزينة؛ لأن اللباس لغة مَعَصْدَة للسلوك الكلامي، فالمرأة أميل إلى التفاصيل الدقيقة رغبة في التميز، وطلباً للدخولة والقبول.

أما الرجل فإنه ينحاز إلى المحافظة في ألوانه ولباسه؛ لئلا يوسم بالأنوثة أو التخنث، وإن كانت هذه القيم أخذة بالتضاؤل مع تسارع (التقليعات)، وتتنافس دور الأزياء على كسر المألوف والرتيب.

### الخصائص الأسلوبية:

- تستخدم المرأة في لغتها جملاً قصيرة، وأقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمل الطويلة الذي تتطوي على التعقيد والتجريد والافتراض؛ ليتمكن من السيطرة على الكلام ولفت الأنظار.

وتعزو فيرجينا وولف (F.Woolf) الجمل البسيطة لدى المرأة إلى "أن شكل الجملة لا يناسب المرأة؛ لأن الجمل من صنع الرجال، وهي جمل ثقيلة جداً، مُشَدَّقة لا تصلح لاستخدام المرأة. إن الجمل هي فعلياً صناعة

<sup>1</sup> See: The Feminist Critique of Language, p 244.

رجل، فلا تستطيع المرأة أن تُكَيِّف أفكارها وخلجاتها في لغة صِيغَت وَفَقَّاً لحاجات الذكر<sup>1</sup>.

- يغلب على أسلوب المرأة التكرار والمؤكدات والمكثفات، وتقل من الحلف والمزاح والكلمات العدائية، ولديها استعداد لتغيير أقوالها والتراجع عن كلامها، لذا تبدو المرأة في حديثها متواضعة وليست متطفلة، ولا ترغب في أن تستأثر بالحديث.

أما الرجل فيميل إلى التكتيف، والتناقض، وينحو إلى اللغة الشارحة إذا كان يخاطب أنثى، ولكنه لا يصبر على الاستماع لشروح الأنثى؛ لأنه يعتد شرحها ثثرة ولغواً.

- تتفرد المرأة بعبارات خاصة بها لا يستخدمها الرجل، نحو:

يا وَرْدِي، (يا خيستي)، يا حُوسْتِي، يا وِلْتِي، يا مَصِيْتِي، يا شِينْتِي، يا خِيْبْتِي، يا بَعْدِ كَبْدِي (تلفظها الببوية يا بَعْدِ شَبْدِي)، يا مِيْمَتِي، يا سَنْدِي، اسم الله حارسك، حوطك بالله (أحاطك الله)، حوطتك بياسين، ...

وهذه الأساليب تُصْغِي على حديث المرأة حميميةً، وتضامناً.

- تُكْثِر المرأة من أساليب التأذّب والاعتذار، فهي تحترم مستمعيها، وتُصْغِي إلى أقوالهم باهتمام، وتقل من المقاطعة، أو تسفيه الآراء، وتُظْهِر اندماجاً أكثر مع متحدثيها.

وهي تُثَمِّن الفوق، وتطلب الإذن للحديث حين تتأكد من أن الجميع قد أتم حديثه؛ لذا تُسَيِّع على لسانها عبارات: إنه يؤسفني أن أقول ...، من غير

<sup>1</sup> The Gendered Sentence, by Sara Mills, PP 66 – 67.

مؤاخذه، آسفة للمقاطعة، عفواً للتدخل، اسمح/ ي لي أن أبدي رأياً، أرجو التكرم بالحديث، ...

" أجرى غاس وفارونيس (Gass and Varonis) دراسة لمعاينة الحوار بين الجنسين، اختار الباحثان لدراستهما عشرين يابانياً يتعلمون الإنجليزية. وزَّع الطلاب في أزواج متقابلة (نكر / أنثى)، لم يحدّد الباحثان نوع الحوار ومدته، بل تركاه مُسرَّعاً. خلَّصَت الدراسة إلى: أن هناك فروقاً بين الرجال والنساء في المشاركة، ومدة الحوار، وسيطرة كل منهما على توجيه الحديث والتأثير فيه.

وعقَّب الباحثان أن النتائج تُشير إلى أن الذكور والإناث يستخدمون الحوار والنقاش بطريقة مختلفة، فالذكور ينتهزون الفرصة لينتجوا قدرّاً أكبر من المخرجات الشاملة، فيما تستخدم النساء الحوار للحصول على قدر أكبر من المُتخلّلات الشاملة"<sup>1</sup>.

- تبدو المرأة في حديثها الرسمي أكثر تردداً من الرجل، "وقد أُجريت دراسة لبحث التردد في كلام المرأة والرجل. صدرت هذه الدراسة عن فرضية روبين لاكوف: "أن المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزمًا من الرجل".

ميّزت الدراسة أربع مجموعات للكلام المتردد:

أ- السؤال القصير: ويعني عدم التأكد في بعض الحالات، وعدم التأكد من رأي مسموح، ولكن هناك حالات يكون عدم التأكد غير مسموح به أو غير مشروع.

ب- الأفعال الظنية (التجنيُّبة)، نحو: أفكر، أظن، أتوقع.

<sup>1</sup> Gender Differences and Second Language Acquisition, by Ali Shehadeh, Research Journal of Aleppo University, PP 76-77.

ج- الاحتمالات، نحو: ربما، على الأرجح، شيء من هذا القبيل، وهذا الأسلوب يضعف المحتوى الخاص بالمعنى للكلمة أو للتعبير.

د- المكمّلات: وهي الكلمات أو التعبيرات التي ليس لها عمل وظيفي يدعم المحتوى. مثل: أنا أقصد، ما أريد قوله، أه ، ...<sup>1</sup>.

إنّ تفسير صمت المرأة في الحديث أمر صعب، ولكن يتوقع أنّ المرأة في الحديث الرسمي تكون في موقف مزيج مما يسبب لها التردد في الحديث، فإذا تكلمت بأسلوب امرأة، أحست أنّ ذلك لا يتناسب والأسلوب الرسمي، وإذا تحدثت بالأسلوب النموذجي/المعياري، قيل لها هذا لا ينسجم مع أسلوب المرأة في الكلام<sup>2</sup>.

### التردد في كلام الجنسين:

أثرت أنّ أتحقق من التردد في حديث الجنسين؛ لظني أنّ صور التردد في كلام الذكر والأنثى ليس مبعثها التفوق الجوهري للرجال، أو الضعف المركّز في ذات النساء، إنما تنبئ هذه الصور عن توليفة اجتماعية ثقافية تركت إملأاتها في ذوات الرجال والنساء.

حاولت اختبار الكلام المتردد للذكر والأنثى، فاخترت عشرة رجال وعشر نساء تتراوح أعمارهم بين العشرين سنة والثلاثين.

### - فرضيات الدراسة:

اقتصرت على حزمة من الفرضيات أرى أنّ لها سيرورة بين الأفراد عن حديث الذكر والأنثى، ينضاف إلى ذلك أنّ كثيراً من الدراسات التي عُنيت بالسلوك اللغوي للجنسين أطبقت على تناولها، من هذه الفرضيات:

<sup>1</sup> Women's Language, p p 176-178.

<sup>2</sup> Ibid. P. 151.

- أن الفرق في الجنس يأخذ أدواراً مختلفة في الحديث، ولا سيما الحديث المختلف بين الجنسين.
- يكتنف حديث المرأة مبالغات ومكثفات وتوكيدات أكثر من الرجل.
- تتعرض المرأة للمقاطعة في المحادثات التي تكون وجهاً لوجه.
- تميل المرأة إلى التكرار، وتراوح حول الفكرة الواحدة.
- المرأة أكثر ذرثرة من الرجل، وتُنتجُ قدرًا أكبر من الكلام في الحديث غير الرسمي.
- تستعمل المرأة الأفعال الظنية (التجنُّبية) أكثر من الرجل.

#### - منهج الدراسة:

اعتمدتُ منهج تحليل المحتوى Content Analysis؛ لأنه منهج ملائم لهذا النوع من الدراسات.

#### - عينة الدراسة:

تم اختيار العينة عشوائياً مع مراعاة متغيرات:

1. جنس المتكلم. ذكر/أنثى.
2. أسلوب الحديث. رسمي/غير رسمي.
3. جنس المخاطب. ذكر/أنثى.

- الأسلوب الإحصائي: ملتُ إلى احتساب التكرار، ثم حصر النسبة المئوية لمجموع التكرار من المجموع الكلي لكل أسلوب.
- فمتُ بتعزيز الصدق والثبات بواسطة اختيار العينة عشوائياً وعرض أنموذج الدراسة على مختصين.



بعد تحليل الأداء انتهيتُ إلى جملة من المعطيات:

الكلام المتروّك	المتغيرات		
	الأسلوب		الشجاعة
	الرسمي	غير الرسمي	جنس المتكلم/المخاطب
الاحتمالات	3.73	2.36	رجل مع رجل
	3.58	0.72	رجل مع امرأة
	15.05	8.43	امرأة مع امرأة
	17.23	6.56	امرأة مع رجل
المقاطعات	6.50	3.65	رجل مع رجل
	9.51	5.71	رجل مع امرأة
	10.74	6.55	امرأة مع امرأة
	5.14	3.13	امرأة مع رجل
المكملات	14.58	8.27	رجل مع رجل
	14.39	6.28	رجل مع امرأة
	22.16	13.84	امرأة مع امرأة
	16.43	9.18	امرأة مع رجل
التكرار	6.46	5.26	رجل مع رجل
	15.31	9.92	رجل مع امرأة
	12.87	7.65	امرأة مع امرأة
	12.47	4.96	امرأة مع رجل

مما لاحظته في هذه الدراسة:

- أن الرجال أميل إلى القطع في حديثهم، ويستأثرون بمدة أطول.
- أن الرجال والنساء ينتجون كلاماً متردداً في الأسلوب الرسمي.
- أن النساء أقل مقاطعة من الرجل، ولا سيما في الأسلوب الرسمي.
- يأخذ الرجال فرصاً أكبر في المبادرات الكلامية والتصحيحات فيما يُطرح.
- كانت النساء مساندات ومؤيدات في أحاديثهم مع الرجال، وأخذن المبادرة بالبناء على ما نُكر.
- مالت النساء إلى القفز في الموضوعات، وبخاصة في حديث النساء إلى مثيلتهن، وخصّصن وقتاً أطول للحديث عن الأمور الشخصية.
- انتهت بعض الدراسات إلى أن النساء أقل ميلاً من الرجال لإظهار الفوارق، ويأخذن أحاديث الرجال على محمل العناية والجدة، فيما يَغصُّ الرجل بكلام المرأة، ويصفه بالثرثرة والخواء.
- ففي تجربة أجريت في جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) تم اختيار اثنين من الطلبة الخريجين، أحدهما رجل، والأخرى امرأة، وكانا متساويين في امتلاك مهارة الخطاب الشفوي.

كُلِّفَ الخريجان بإلقاء محاضرات مماثلة في موضوع علم الاجتماع، وكانت المحاضرات للنساء والرجال، تَحَدَّثُ كل محاضر لصفه في الموضوع الأول في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني تحدثا في الموضوع الثاني، وقد أَخْبَرَ الطلاب - مسبقاً - أنهم سَيُمْتَحِنُونَ بالمعلومات التي أُلْقِيَتْ في المحاضرات؛ لذا حَرَصَ الطلاب على المتابعة والتركيز.

وحين أُجْرِيَ الاختبار كانت المعلومات التي نقلها الطلاب عن المرأة مصحوبة بتعليقات مثل: هي قالت She said this، أو She made the point بمعنى أنها قدمت النقاط.

كانت هذه التعليقات أكثر في المعلومات التي نُقِلَتْ عن المرأة، أما المعلومات التي ألقاها الرجل فكانت أكثر قبولاً وثقة من حديث المرأة<sup>1</sup>.

إنَّ ارتباط حديث الرجل بالجدَّة والثقة، واقتراح حديث المرأة بالريبة والهزل أمر لازب ورائح في مسطورات الثقافة وقيم المجتمع؛ لأنَّ الأنوار التي يشغلها الذكور والإناث متعيَّنة في تحقيقات عديدة، فالقرار الفصل يُعزى للرجل دائماً، أما المرأة فعليها الرضوخ والطاعة. فلم يرتبط دور المرأة بالمواقف الجادة، إذ إنَّ الشَّرْتَقَّة التي ضربها المجتمع على المرأة أفضت إلى تفرغ شخصيتها من الفعل والتأثير.

لعل هذا الاعتقاد الذي سكبهُ المجتمع في عقول أفرادهِ هو المحرِّك لسلوكهم تجاه الذكر والأنثى؛ لذا يصدر الأفراد في تقييمهم لأنوار الذكر والأنثى عن قناعة مُسبَّقة، فتفوق الذكر هو المعيار الرتيب، أما مشاركة المرأة في الحل والعقد فانحراف واستثناء.

<sup>1</sup> The Female World, p p 382 - 384.

عُثِرَ إحدى الأكاديميات عما تعانيه من الطريقة التي يتبعها الطلاب والطالبات في الجامعة حين يخاطبون أعضاء هيئة التدريس ذكوراً وإناثاً: "لأسباب اجتماعية معروفة داخل المجتمع، يكون عليهم/هن استخدام لقب مع اسمنا في أثناء المخاطبة، فيستخدمون اللقب وحده، أو قبل الاسم. واللقب الذي نعاني منه هو "مس" (Miss)، بصرف النظر عن درجتنا العلمية، وعن كوننا متزوجات، أو غير متزوجات. ونلاحظ أن الطلاب يخاطبون زملائنا الرجال بلقب دكتور (Dr.) أو أستاذ (Professor) بتلقائية وبساطة.

ونشرح للطلاب عدم راحتنا - نحن الأكاديميات - للتعريف علينا من خلال الحالة الاجتماعية فقط، ففي السياق الأكاديمي، يتعين التعريف بنا من خلال هويتنا الأكاديمية وإنجازنا العلمي<sup>1</sup>.

إن سبب هذه الرؤية الراتبية للجنسين يكمن في الأنماط الثقافية السائدة، فيتناغم منح اللقب للذكر والأنثى مع الحالة الثقافية داخل المجتمع، لذا يكون منح اللقب تحديداً لدور الإنسان في مناسط الحياة، وإبرازاً للدور الثقافي الذي يقوم به.

### السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين:

اللغة ليست نظاماً من العلامات وحسب -وفق تعريف سوسير-، أو ضرباً من السلوك كما رأى بلومفيلد، فهناك أنظمة سلوكية غير لغوية Non-Verbal Behaviour تُرَافق الأداء اللغوي وتحظى بدور الدعم والمساندة للأداء، نحو: التعبير الجسدي، والتقارب، واللمس ...

<sup>1</sup> إنغلر أم غرونت: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص 4.

وتتضافر هذه المكونات في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، ويتفاوت هؤلاء في استخدام هذا السلوك، فيكثر بعض الأفراد من الحركات والإيماءات في أثناء حديثه؛ لما تنطوي عليه من دلالات داعمة للغة، بل ربما كانت في بعض المواقف بديلاً من السلوك اللغوي.

"رَوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ جَاءَ ابْنَتَهُ حَفْصَةَ لِيَسْأَلَهَا عَنْ أَمْرِ حَزْبِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ أَهْمَنِي، فَأَفْرِجِيهِ عَنِّي: فِي كَمْ تَشْتَاقُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا؟ فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا وَاسْتَحْيَتْ، فَقَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَإِلَّا فَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَكَتَبَ عُمَرُ أَنْ لَا تَحْبَسَ الْجِيُوشَ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ"<sup>1</sup>.

وقد فطن الجاحظ إلى دور الإشارات الجسمية في تعضيد الكلام بقوله:  
"والإشارة واللفظ شريكان، ونِعْمَ العون هي له، ونِعْمَ الترجمان، هي عنه، وما أكثر ما تنوب هي عنه، وفي الإشارة بالطَّرْفِ والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا البتة"<sup>2</sup>.

وفي بعض الحالات يكون الكلام محظوراً، فيلجأ الأفراد إلى لغة للتواصل عَبْرَ الإشارة "ففي أستراليا لا يُسَمَحُ للأرملة التي دفنت زوجها حديثاً باستعمال الكلمات، وكما لا يُسَمَحُ الشيء نفسه للشباب المقبلين على مرحلة الرجولة .... وحتى الأمم المتحضرة لم تنفض عن نفسها مثل هذه المحرمات

<sup>1</sup> ابن حنبل المدين الحديث: ذكر الفصل، 5/16.

<sup>2</sup> الجاحظ: البيان والخبير: 78/1.

الكلامية. يُنكر أن بعض القسس المسيحيين لم يَنبَسُوا ببنت شفة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة الإشارة؛ "لأن الكلمة المنطوقة كانت خطيئة"<sup>1</sup>.

ويلاحظ أن المرأة أكثر استخداماً للإشارات غير الكلامية، وهي أعمق فهماً لكُنْه مراميها، وتوظيفها في الموقف اللغوي.

جاء في رسائل ابن حزم: "ما رأيت قط امرأة في مكان تحسن أن رجلاً يراها أو يسمع حشها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت بمنزلة، وأنت بكلام زائد هي عنه في غنية"<sup>2</sup>.

فالمرأة تميل إلى المفاتيح غير الكلامية، كحركات الوجه والجسم؛ لإشاعة التوافق والتناغم في خطابها، وبالتالي الوصول إلى التأثير والتضامن.

- تضرب المرأة بكفها على صدرها إذا تعرضت لحدث فيه إنكار أو استغراب، وإذا كان الحدث أكثر دهشة وارتباطاً بها فإنها تصك وجهها عوضاً عن السلوك اللفظي، أو مساندة له، وقد حفظ تراثنا بعض هذه الإشارات، من ذلك قول الشاعر:

نقول وقد دقت صدرها يمينها أبعلني هذا بالرحى المتقاعس<sup>3</sup>

- تبسم الإناث أكثر من الذكور - غالباً -، وهن لا يفتحن أفواههن على نحو ما يفعل الذكور، بل يضعن أصابعهن على شفاههن حياء، ويضحكن دون قهقهة؛ لأن المجتمع يغلّ ضحك المرأة في بعض المواقف من سوء الأدب، لذا يتعين على الأنثى أن تكتفي بالابتسام.

<sup>1</sup> كوندرا توف: أصوات وإشارات، ت. لغوي، بيروت، ص 12 حتى 13.

<sup>2</sup> ابن حزم: رسائل ابن حزم، ت. إحسان عباس، ص 271.

<sup>3</sup> ابن جني: الخصائص 1/246.

- تُعَبَّرُ المرأة عن موقف الخَيْرَةِ أو التَوَتَّرِ بوضع أناملها على أسنانها الأمامية مع إبقاء الفم مفتوحاً، أما الرجل فيُعَبَّرُ عن ذلك بحكّ الرأس أو الذقن أو الجبهة.
- يُعَبَّرُ الرجل بهزّ كتفيه عن الرفض، وقد تشير بهما المرأة تكلّلاً.
- النساء يُمَلِّنَ رؤوسهن للتعبير عن الحياء أو الخضوع، وهنّ أكثر تنويعاً في مشيتهن. فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشياً معتدلاً، والأمر الجلل يتطلب مشياً سريعاً، أما المشي البطيء مع إصدار حركات أو إطالة النظر فيما حوّلن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار.
- فسّر أبو حيان الآية (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) التور 31 بقوله: " كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليقعّع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها"<sup>1</sup>.
- الإثاث يُمَعِنُ في بعضهن أكثر مما يفعل الذكور، الذين يفضلون تكرار النظر على إطالته. ويُلاحظ في اللقاءات العامة أنّ المرأة تنظر إلى زوجها أكثر مما ينظر إليها.
- للمرأة قدرة على توظيف لغة العيون، فلديها مهارة في بث رسائلها من خلال نوافذ الروح (العيون)، لذا قيل رَبِّ لَحْظِ أَنْمُ مِنْ لَفْظِ.
- يميل الرجل إلى رفع الكفّ صوب الرأس لإلقاء التحية، فيما تميل المرأة إلى هزّ الرأس للتعبير عن الموقف أو الاستجابة له.
- المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملامسة لها، ولعل ذلك يوحي إلى التواحد والمودة، فثمة صلة بين الاقتراب واللمس.

<sup>1</sup> أبو حيان الأندلسي: المعجم المحيط، 249/6.

أما الرجل فيفضل إبقاء مسافة بينه وبين محدثه (وهي المنطقة الآمنة)،  
وقلما يوظف اللمس في عملية التواصل والانسجام.

يرى آلن وير (Allen Yair) "أن قفل القدم محصور بالنساء، إن أعلى  
رجل تُقفل الرجل الأخرى لتعزيز موقف دفاعي، وحين تظهر هذه الإيماءة  
يمكنك أن تتأكد أن تلك المرأة قد أصبحت منعزلة أو أنها انسَلَّت مثل السلحفاة  
إلى صدفتها.

إن هذا الوضع شائع بين النساء الخجولات أو اللواتي يشعرن  
بالجبن"<sup>1</sup>.

أرى أن المرأة تحسُّد في صنيعها هذا عن تطبُّع اجتماعي وجهها إلى  
المحافظة والالتزام وعدم الابتذال، فالبنت تُربَّى منذ الصغر على ضم قنميتها،  
وعدم الاندفاع كالأولاد؛ لأن ذلك في عُرْف الثقافة عيب.

قاربت الكاتبة (مي جبران) هذه الحالة بقولها:

" تُربَّى البنت على كبح الجسد (اقعدي منيح، وطّي التتورة، ما تلعي  
مثل الصبيان، وطّي صوتك، اسمعي الكلمة، لا تقولي كلاماً بذيئاً ... ) فهي  
تربية العيب، فيما يُربَّى لصبي بارتياح أكثر (معلش هو صبي، اتركه يقعد  
مثل ما يشاء) تُربَّى البنت باللا، وهو بالنعم ..."<sup>2</sup>.

- تُعبّر المرأة عن حركات وجهها بصورة أعمق دلالة، لتحقيق الصداقة  
والفرح وبت الهدوء في نفس المستمع.

لاحظت (هنيلي) "أن النساء لديهن القدرة على قراءة الإشارات غير  
الشفوية سواء كانت صادرة عن ذكر أو أنثى، وربما يعود السبب إلى أن

<sup>1</sup> آلن وير: لغة الجسد، ت. سمير شيعاني، ص 83.

<sup>2</sup> مي جبران: الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع 73-74، 1994م، ص 143.



السلوك غير الشفوي يحظى بدور مهم في حياة النساء، فهن أكثر حساسية للتلميحات غير الشفوية من الرجال"<sup>1</sup>.

وقد قام علماء في جامعة نيويورك ستيت (New York State) في الولايات المتحدة بإجراء تجارب على سبعة عشر ولداً وثمانى عشرة بنتاً "وانتهت الدراسة إلى أن الفتيات يملكن مقدرة التعرف على أدق التغيرات التي تطرأ على الوجه أكثر من الأولاد"<sup>2</sup>.

ولعل هذا الفئض من السلوك غير اللفظي لدى المرأة يرجع إلى طبيعة التركيبية الاجتماعية التي فرضت على المرأة نسقاً محدداً، ودوراً ثابتاً من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ المرأة إلى السلوك غير اللفظي؛ لبناء عالم رمزي تمارس فيه البوح غبر جسدها ما دام بعض الكلام محظوراً.

"فاللغة بالحركة يمكن أن يكون لها أصل نفعي، ومع ذلك فكون استعمالها عند الشعوب المتوحشة من شأن النساء على وجه الخصوص يوحي بتفسير آخر. ذلك أن السبب الذي يدعو عادة إلى التفريق في اللغة بين الجنسين يكون سبباً دينياً، فلما كانت الكلمات التي يستعملها الرجال محظورة على النساء، فقد وجب على هؤلاء أن يستعملن مفردات خاصة يخلقنها بأنفسهن حتى لو اضطررن عند الحاجة إلى إحلال الحركة محل الصوت. وهكذا يمكن أن يفسر استبقاء لغة الإشارة بالإلزام الفاشئ عن النواهي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> The Female World, p 385.

<sup>2</sup> صحيفة الرأي الأردنية، 2001/7/21 م، ص 24.

<sup>3</sup> فلويس، اللغة، ص 33.

لا يقتصر توظيف المرأة السلوك غير اللفظي على المحظورات والنواهي، فهي تلجأ إليه في سلوكها اللفظي أيضاً؛ لإسباغ غلالة من التأثير والتواصل على حديثها.

\*\*\*

نخلص من عرض الخصائص اللغوية للجنسين إلى أن السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي في حالة تفاعل دائم، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة، ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع إلى المحيط الأوسع وهو الظروف التي يتخلق فيها الكلام. إن اتساع الشقة في الخصائص اللغوية المميّزة للجنسين تتناسب تناسباً طردياً مع التواصل القائم بين الجنسين، فكما شاركت المرأة الرجل في صوغ الحياة وبناء المجتمع الرحب قلت الاختلافات بين الذكر والأنثى، وكما زاد انعزال المرأة عن الرجل اتسعت الفروقات اللغوية للجنسين. ولنحظ ذلك في لغة ربّات البيوت ولغة النساء اللواتي يشاركن الرجل في العمل الوظيفي، إذ تكتنف لغة ربّات البيوت استعمالات مباينة إلى حدّ ما للغة النساء العاملات. فاللغة منظومة أودعها مراس الكلام في الجمهور، وتتأثر بالمحيط الاجتماعي للأفراد والجماعات.

وعلى الرغم من تقريرنا أن ثمة خصائص لغوية مائزة للجنسين، إلا أن هذه التنوعات اللغوية لا تعدو أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس أو طبقة منهم، فلا تُقيم هذه التنوعات اللغوية قطيعة بينها وبين اللغة الجامعة التي تميز لغة المجتمع من غيره.



## الخاتمة:

صدرت هذه الدراسة عن وجهة ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية، وهي تدخل في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، إذ إنها نسق يشترك في اتباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون؛ لتحقيق غائية الاجتماع البشري.

ومستصفي ما خلصت إليه الدراسة من أنظار:

- أن الصلة بين اللغة والمجتمع متناظرة، ففي أحضان المجتمع تخلق اللغة، وهي قنصرتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجرد، والتعبير عما يختلج في أقطار النفس، لتشمل استجابة المتلقين لها.

- احتفى اللغويون العرب بالسياق الذي تُمتعمل فيه اللغة، واستشعروا الوجهة الاجتماعية في معابنتهم للظاهرة اللغوية، وإن لم يصرحوا بها تصريح اللسانيات الاجتماعية.

- استدركت اللسانيات الاجتماعية على علم اللغة الحديث إهماله للعوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة، وكان يتعين أن تُدرس المعطيات الاجتماعية للغة ضمن علم اللغة العام، لا أن يُفرد لها علم مستقل.

- إن استجلاء ماهية السلوك اللغوي لا يكون إلا بالعود إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي، إذ يتأثر هذا السلوك

- بطبيعة المتكلم، وطبقته الاجتماعية، وجنسه، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه، وشخصية السامع، وتكوينه الثقافي. إلى غير ذلك من معطيات تسهم في شكل السلوك المتَّجَر.
- أُنْطِقتْ الدراسة على أنَّ الاختلاف بين الجنسين متَّبَعُهُ قِيمُ المجتمع ومسطورات الثقافة. وليس العوامل الفسيولوجية والبيولوجية، ويَعُضَدُ ذلك ما أُجْري من بحوث ودراسات في السلوك اللغوي والاجتماعي للجنسين.
- لم يَنْتَظَمِ تصنيف الجنس في العربية منطق عقلي، ولا سيما الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، ولعل هذا ما أَشْكَلَ على الباحثين لالتماس علة مطَّردة في التصنيف. ويتراءى لي أنَّ اللغويين حين صَنَّفُوا الأشياءَ كان هاجسهم ضبط اللغة واطرادها، لا أن يَفْضَلُوا جنساً على آخر، ولو أنَّهم أَفْرَدُوا للمجازي من الأسماء قسماً ثالثاً لتَخَلَّصَتِ الظاهرة من مُشْتَجَرِ الخلاف.
- ينبغي ألاَّ نخلط بين العربية بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين تلك الظاهرة، فإذا كان هناك تحيُّز في بعض التَعَيِّنَاتِ اللغوية فمَرَدُّ ذلك إلى الثقافة وقِيمُ المجتمع.
- إنَّ اتساع الهُوَّةِ في الخصائص اللغوية المائزة للجنسين يتناسب تناسباً طردياً مع التواصل والمشاركة، فكلما حضرت المرأة في المشهد الحياتي إلى جانب الرجل قلَّت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما تَفَوَّقَتْ في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن الشهود زادت الاختلافات بين الجنسين وتعمقت.

- على الرغم من إقرارنا بالخصائص اللغوية للجنسين، إلا أن هذه التنوعات لا تعني أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس، أو طبقة منهم.
- تقتضي الزمالة المفترضة بين الجنسين، تعديل القيم الثقافية والاجتماعية ليرتقل الجنسان بالمساواة، ويفضي ذلك إلى تغيير التمثيلات اللغوية، فهذه التحققات مرهونة بموروثات الثقافة التي انحازت للذكورة. وليس للغة نصيب من التحيز، فاللغة في جيلتها محايدة، وهي تملك طاقات كامنة لتتفنى عن نفسها الانحياز، لكن ذلك مشروط بمن يسعمل الخطاب.



الملاحق

تقاسم الصفات المحدودة والمضمومة  
بين الجنسين





ملحق بالصفات المحبودة والمذمومة للجنسين استُلت مائة من جملة من

معجمات المعنى.

صفات سلبية ملحقة بالمرأة:

الصفة	المفردة	
* الحمق	امراة رقاع	حمقاء
	خذعل	حمقاء
	دفش	حمقاء
	دنفص	حمقاء
	لكاع	الحمقاء الدنيئة ... ينظر: الأصمعي: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص3.
	وزهاء	
	دعقاء	حمقاء
	جمعاء	* ثقل للتي أنكر عقلها ولا يقل للرجل
	ثأطاء	حمقاء
	لكعاء	
	عوكل	حمقاء
	بلعوس	حمقاء
	خزنبل	حمقاء - المخصص 61/16، 151/16، 165/16، 169/16
* الفجور	امراة جلبة	فاحشة
	مجة	التي تكلم بالفحش
	بذينة	ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص45.
	السفح	الجريئة البذينة

البذينة	العنقوص	
التي تكلم بالفحش	الجلاعة	
تتكلم بالفحش	المجاعة	
الفاحشة الخفيفة	الترعة	
ابن السكيت. كتاب الألفاظ ص 244.		
المرأة الفاحشة	طلعة	
بذينة	قبة	
لا ترد يد لامس، وتقر لما يصنع بها	فرور	
	مومسة	
	بغى	
	مُسافحة	
بلغت في السوء غايته	معلقص	
إذا كانت نهاية في سوء الخلق.	زبعتق	
فقه اللغة، ص 170		
	عاهر	
خلعت خمارها تبرجاً	مجالع	
بغى	هجول	
بغى	هلوك	
	صننم	
ماجنة	علجن	
متساقطة	رعيل	
الداعرة الخبيثة	عنقوص	

فاجرة	خَرِبَ	
	خريمة	
قليلة الحياء	قَرْنَع	
تلازم الرجال	زِير	
	سافر	
اسم للفاجرة	فرنتى	
ذات الريبة والفحش	خَطَّالَة	
صلبة الوجه	وَقَّاح	
	قَذَع	
الفاجرة تظهر سرها لكل واحد. المخصص. 124/16، 134، 142، 161، 167	هَنْبَع	
ردئة الخبر	خُنْطُوب	
	الدُّلْجَة	
- القاموس المحيط 'نلج'، 'فحش' فحاش	فَحَّاشَة	
		صفات خُطْية وسلوكية مذمومة
لا تطيع زوجها - ما اختلفت ألفاظه ... ص49.	نَشُوص	
ضحَاكَة	هَامَأَد	
المخصص 14/16		
	وزَّهَاء	

هَنَاء	فِيهَا طَيْش	المخصص 16/16
مِهْزَاق	كثيرة الضحك	
مِنْقَاص	كثيرة الضحك	
مَكْثِير	كثيرة الكلام	
ظَلُوم	ظالمة	المخصص 137 135 /16
عَلُوق	لا تحب زوجها	
رَوُود	تدخل بيوت الجيران	المخصص 142/16
دَعُور	تذعر من كل شيء	
بَطْرِير	طويلة اللسان سخابة	المخصص 168/16
جَمَاد	مُتْسِكَة	
رَوَاد	طوافة في بيوت جاراتها	
عَفِير	لا تهدي لأحد شيئاً	
فَرْج	لا تكتم سرا	
جِنَحْل	غليظة الخلق	
فَيْلَق	داهية سخابة	
حَنْبِش	كثيرة الحركة	
جَحْمَرَش	سمجة مكرومة	
خُنُق	رغاء	

غليظة	ضَمَزَر	
خداعة	خلوب	
المخصص 142/16		
صحابة	صَنِيصِلِق	
المخصص 169/16		
	شَنَقَلِيق	
غالبه بالشر سليطة	عَنَقَقِير	
لا تستقر نزقاً	عَنِيَل	
	عيهنة	
إذا زادت سلاطتها	مِلَقَانة	
فقه اللغة 169		
السينة الخلق	عِنَقَانة	
• ينظر القاموس المحيط في جنور المفردات	صَنُوف	
مفتلة الريح	لَخْناء	صفات جسدية مذمومة
لم يكن على فخديها لحم	مَصُوناء	
إذا كانت نهاية في السمن والعظم	فَبَعَلَة	
إذا كانت كثيرة مضطربة الخلق	عَرَكْرَكَة	
مضطربة الخلق	عَضَكَة	
قبيحة	رَسْعاء	
صغيرة الثديين	جَدَاء	

قفرة	قليلة اللحم.
جَانِبَة	غليظة الخلق
مَنْشَاء	لم يكن على ذراعيها لحم
زَلَاء	لم تكن لها عجيزة
طَرُطُتَة	طويلة الثديين مسترخيتهما
قَنْبُضَة	قصيرة ذميمة
مَقَاضَة	ضخمة البطن
	* ينظر. فقه اللغة ص 169
خَنَوَاء	سمينة
	المخصص 53/16 - 161
عَكْبَاء	غليظة الخلق
خَسَاء	قبيحة الوجه
خَوَّاء	مسترخية
سَوَاء	قبيحة
ثَعْلَاء	لها أسنان زائدة
بَوَصَاء	عظيمة العجز
قَثْعَاء	قبيحة المشية
قَنْشَاء	لا لحم على يديها
وَجْنَاء	العظيمة الوجدات
نَكْوَع	قصيرة
نَرُوم	قصيرة، سيئة المشي
خَفُوت	لا تكذبين من الهزال

بها عيب في جسدها	نسوس	
مذمومة	ذميم	
مُسنة	نصف	
خبيثة النفس	فُرث	
مُكْتَلَزَة ضخمة	خَنَبَح	
مسترخية الجفون ولحم الوجه	خَنَطِير	
ضخمة البطن مسترخية اللحم	ضَمَعَج	
فانية	نَظَم	
قصيرة	عَلَكْد	
ذميمة	جَلَبَح	
هرمة	خجرط، هَلْدَم، وِدْلَقَم	
فيها هوج واسترخاء	هَرْمَل	
ضخمة ثقيلة	قَرَضَم	
كبيرة سمجة	فرشاح	
ضخمة	مُهْنَلَس	
عجوز كبيرة	هَرَشَف	
	هَرَشَفَة	
قصيرة	حَلَحْ	
قصيرة	بُهْتَر	
ينظر المخصص 162/16 - 169، 183	بُهْتَرَة	
قبيحة غير منسوقة	شوهاء	



طويلة مع دقة في البدن ضخمة الخصرين	مقاء خرتاء	
دقيقة عظام اليدين والرجلين عس	عشة	
جافية الخلقة	عكبرة	
لم تتم أعضاؤها التناسلية	ضنهاء	
أحد ثدييها أكبر من الآخر	حضون	
هزلت بعد سمن	متخرخرة	
واسعة الفم	فوهاء	
مسترخية أسفل البطن ينظر : القاسوس المحيط	سول	
		صفات نفسية وخلقية محمودة
متحبة لزوجها كتاب الألفاظ 238	عروب	
محببة لزوجها	عاشق	
حصان المخصص 126 122/16	حاجن	
نقية	طاهرة	
لا تمنع زوجها مالها	باهر	
حيية المخصص 142/16	خرود، خريد	
لها شرف تتزوج طمعاً في ولدها. كتاب الألفاظ، ص 238	ظنون	

رزان	تقال، الثقال	
حمنة الخلق	خليق	
نلول مطواع	عطيف	
المخصص 157/16		
حيية	ستير	
المخصص 158/16		
مطواع، منقادة	مدعان	
القاموس المحيط		
المتحفظة التي تنفر من الريبة	نوار	
رزينة في مجلسها	رزان	
صنيّة	خفرة	
فقه اللغة 167		
منخفضة الصوت	رخيمة	
جليلة تظهر للناس	برزة	
فقه اللغة 168		
من العطية	مطاء	
من الهدية	مهاد	
مصونة، محجوبة	مقصورة	
الظريفة	الليقة، الليقة	
ينظر: القاموس المحيط		
المخصص 135/16	معناج	
صانعة	صناع	
151/16		

مرفال	تَجَرُّ ثوبها ثقة	135/6
زائن	مُتَجَمِّلَةٌ، مَتَرِيئَةٌ	
طُرُوح	تَطْرَح ثوبها ثقة	142/6
صفات جسدية	الخَبْدَى	الناعمة. التارة البدن
محمودة		المخصص 7/16
مِنْهَاج	بَيِّنَةُ البَهْجَةِ	المخصص 35/16
بَضَائِص	كَثِيرَةُ اللحم	المخصص 151/16
فَرِيع	ناعمة	157/16
بَحْت	خالصة البياض	
فَنَق	عظيمة حسناء.	
	ينظر. المخصص 162/16-170	
غَيَّلَم	حسناء	
عَيَّطَل	طويلة العنق في حسن	
شُرُوط	طويلة متشدبة	
أَمْلُود	ناعمة	
عُظْمُوس	تارة ذات قوام	
شَغْمُوم	تامة حسنة	
رُعْبُوب	تارة، وقيل بيضاء حسنة	

كَبِيرَة الثَّديين	خَنَظَرِف	
تامة معتدلة	خَلِيق وخلِيقَة	
بَيِّنَة البَهاء	بَهِيَّة	
ينظر: القاموس المحيط		
ذات جمال رائع	رُوقَة	
حسنة القوام	ممشوقة	
الطويلة	السُرُوف	
الطويلة الجميلة	السُّلْهبة	
الطويلة الحسنة الخلق	سُرْحَبة	
حسنة الشعر	فَرَاء، غَرَاء	
ذات شعر طويل	قَيَّانَة	
الناعمة	الرَّخْصَة	
الحسنة	لها رُؤَا	
البينة الغيد ، الناعمة اللينة	الغَادَة	
رقيقة البشرة	عَبْهَرَة	
المشرقة الوجه	الزُّهْرَاء	
المتلونة الناعمة، الحسنة الخلق	المُعْتَجَة	
الشابة الرخصة	الخَوْد	
الشابة الحسنة	الرَّكْدَة	
بيئة الشباب تهتر في مشيتها	أَمْلُود	

ناضرة	بيئة الحسن مع النعمة
ونضرة	
ونضيرة	
سرعة	طويلة، حسنة الجسم
شباب	بيئة الشنب، وهوماء ورقة تجري على النغر
المارية	البيضاء
الهركلة، والهركلة، والهركولة	الحسنة الجسم والمشية
تخضانة	طيبة النفس والريح
الهركة	الناعمة التامة
خلاقة	حسن خلقها
روقاء	ذات جمال رائق
الدمحلة	الحسنة الخلق
الشاط	الحسنة اللحم واللون
البهس	الحسنة المشية
البهكة	ناعمة الجسم اللينة
تميمة	تامة الخلق وثيقة
ربيلة	سمينة
رتجلة	سمينة منعمة
الوهانة	اللينة، لينة الجسم ناعمة
البرهرة	الناعمة، كثيرة اللحم
أثانة	الطويلة

شَغَفَرٌ	حسنة الخلق
السراح	الحسنة المشية
ممكورة	دقيقة المحاسن
خرَّعة	حسنة القد، لينة القصب
قَبَاءٌ، خمصانة، هَيَقَاءٌ	لطيفة البطن
هَضِيمٌ	لطيفة الكشحين
عُطْبُولٌ	طويلة العنق
مَرْمَرَةٌ	ترتج من سمها
عَبْرَةٌ	عظيمة الخلق مع الجمال
رَصُوفٌ	إذا كانت طيبة الخلوة
لَفَاءٌ	ضاق ملتقى فخذيهما لكثرة اللحم ينظر فقه اللغة 166-167
حَسَانَةٌ	جميلة الجسم * ينظر: ما اختلفت ألقاظه ... ص 49

صفات مذمومة للرجل

الصفة	المفردة	
الْحَمَقُ		
	حَطَنَطَى	يُعَيَّرُ بِهِ الرَّجُلُ إِذَا نُسِبَ إِلَى الْحَمَقِ
	عَيَائَاءَ	الْأَحْمَقُ الْقَدِيمُ
	الطَّبَائِقَاءَ	الْأَحْمَقُ
	طَبَّحَةً، وَلَطَّخَةً	أَحْمَقٌ لَا خَيْرَ فِيهِ
	بُؤْهَةً	أَحْمَقٌ
	خَالَفَةً	فِيهِ حَمَقٌ
	طَبَّاحَةً وَفَجَّاعَةً	أَحْمَقٌ
	زُمَيْلَةً	أَحْمَقٌ ضَعِيفٌ
	إِمْرَةً، وَإِمَعَ	أَحْمَقٌ لَا رَأْيَ لَهُ
	ضَوْكَةً	أَحْمَقٌ كَثِيرُ اللَّحْمِ مَعَ ثَقَلٍ
	حَجَّاجَةً فَقَّاقَةً	أَحْمَقٌ
	هَلْبَاجَةً	أَحْمَقٌ مَاتِقٌ
	سَاقِطٌ	نَاقِصُ الْعَقْلِ
	أَمَنَةً	يَتَّقِي بِكُلِّ وَاحِدٍ جِهْلًا
	لَفَاءَةً	* يَنْظُرُ. الْمَخْصُصُ 170/16 - 176، 183.
	أَبْلَهَةً	إِذَا كَانَ بِهِ أَدْنَى حَمَقٍ وَأَهْوَنَهُ

أخرق	الحمق مع عدم الرفق
أهوج	الحمق مع تسرع
مأفون.	لم يكن له رأي يرجع إليه
يهفوف	من زاد حمقه
خنق. وخبق	اشتد حمقه
عقيك ليفك	إذا كان مشبعاً حمقاً يُنظر: فقه اللغة ص 155 - 156.
الفجور	
دُعرة	
جواظلة	
طفانية	
عاهر	
نطف	
فاحش، فحاش	يُنظر: القاموس المحيط
الجبن	
نأنا، نأناة	ضعيف، عاجز، جبان
هوهاء	جبان
فروقة	
كينة وكيء	جبان
فرورة	
نفرجة	ينكشف عن الحرب



ضعيف رخو جبان	زُمَيْل وزَمِيلَة	
ضخم جبان	رَقْل وهرَب وهرَبَة	
يَفْرُق من كل شيء المخصص 18/16، 72، 139، 170، 176	فَرُوق وفَارُوق وفَارُوقَة	
	جبان	
في نهاية الجبن	فَشَل	
ضعيف القلب	هَل	
	هَيَّاب	
جبان	رَعْدِيد	
	خَوَّار	
	خَرَع	
مخلوع القلب ينظر: إبراهيم اليازجي: المترالف والمتواردة 85/1	مَنْخُوب	
		البخل
إذا كان في نهاية البخل	حَلَز	
شديد البخل فقه اللغة 161	لَحَز	
إذا كان مع شدة بخله حريصاً	شَحِيح	
	لَنِيم	

ضيق		
جَفَدَ	إذا كان شديد الإمساك لماله	
مُسَكَاة		
ضيق		
كَزَ	مُمَسِكَ	
خَصِير	المتراشف والمتولرد 81/1	
وَعَقَّة لَعَقَة	عسير الخلق	صفات مذمومة أخرى
عَزَنَدَ	لا يُطَاق	
نَوْمَة	خامل	
رَهَكَة	لا خير فيه	
خَوْلَة	محتال	
هَزَاة	يهزأ بالناس	
سُخْرَة	يسخر بهم	
خَذَلَة	يخدلهم	
كُذِبَة	يكذبهم	
ضَجَعَة	كثير الاضطجاع	
غَضَبَة	سريع الغضب	
مَزَقَة	ضيق الرأي	
صَخَابَة	شديد الصخب	
فَزَاة	يفزع الناس كثيرا	
أَكَاة	كثير الأكل	

كثير الكلام، متداه	لُقَاعَة	
يبرم بالناس يُنظر: المخصص 170/16-174	فَانُورَة	
يبنر ماله ويفسده	تَبْذَارَة	
كثير السب	مَسْبَة	
كثير الكلام	هَبْذَارَة بَبْذَارَة	
شديد الطلب	عَلَاقِيَة	
كثير القعود	قُعْدِيَة	
كثير الاضجاع	صُجْبِيَة	
يتسخط عند الطعام من سوء خلقه المخصص 174/16-177	جِنَاعَظَة	
خفيف	سِنْدَاوَة وَقْدَاوَة	
القاموس المحيط: الجذور الأتفة		
وَحِم	بِلْدَامَة	
رخو لئيم	ضِرْسَامَة	
سيء الخلق	زَمَحْن وَزَمَحْنَة	
نو تعويق	عَوَقْ عَوَقَة	
المخصص 174/16-186		
إذا لم يكن له قوة بالأمر	نَطِيش	
ليس له رأي	حَبْض	
لم يكن له قوة بالأمر	بَنَم	

لم يكن له قوة بالأمر	فتم	
القليل المنفعة	ووخ	
ينظر : ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه ص 50 - ص 67	هناجة	
صغير الجثة قليل	رجل قفة	صفات جسمية
*المخصص 170/16		مذمومة
قصير	جثمة	
171/16		
قصير	دنامة	
173/16	ودنابة	
قصير	جيرة	
175/16		
سمين مندلق البطن قصير	بحورة	
175/16		
كثير اللحم - قصير لنيم الخلقة	درحاية	
175/16		
قصير لحيم	جغظاية	
175/16		
غليظ إلى القصر	حرابية	
175/16		
وخم	بلدامة	
176/16		
قصير	جحنبارة	
176/16		
قصير	تنبال	

	تنبالة	
قصير	نخداحة	المخصص 182/16
قصير	نبنة	
قصير	خزق	
قصير	جندم	
	جندمة	
	جفظار	
	جفظارة	
صغير الرأس	أصعل	فقه اللغة 156
صغير الرأس	سمفم	
إذا كان فيه عوج	أشدق	فقه اللغة 156
ناقص الخلق	أكشم	
معوج القد	أخفج	
منحني الظهر	أذن	
خرج ظهره ودخل صدره	أخذب	فقه اللغة 156
إذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه	ألص	
إذا كان في رقبتة ومنكبيه انكباب إلى صدره	أجنأ، أذنأ	
إذا كان يتكلم من قبل خيشومه	أغن	

أفحج، أفج	إذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين فقه اللغة 156
أقرل	قبيح العرج فقه اللغة 156
دُعُوب	قصير ذميم ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص 34
حَقِيس	إذا كان قصيراً غليظاً
كَلْكَل	إذا كان قصيراً غليظاً
كَلَاكَل	قصير غليظ ضخم البطن
حَقِينَا	إذا كان قصيراً
حَقِينَا	إذا كان قصيراً سمياً
بَجْبَاح	القصير السمين
وَحْوَاح	إذا كان قصيراً ثم اضطرب لحمه.
جُعْشَوْش	القصير الغليظ
حَنَزَقَر	القصير الذميم ما اختلفت ألفاظه ... ص 44

## صفات محمودة للرجل

وردت صفات كثيرة في كتب اللغة، أسوق جملة منها:

الصفة	المفردة	
السيادة	الخلّاح	السيد الشجاع
	الهَمَام	السيد البعيد الهمة
	الْقَمَام	السيد الجواد
	الغَطْرِيف	السيد الكريم
	الصُنْدِيد	السيد الشريف
	الأرْوَع	السيد الذي له جسم وجهارة
	الكَوَثَر	السيد الكثير الخير
	الْبُهْلُول	السيد الحسن البشر
	عَيْمَة	خيار قومه
	نَابِخَة	عظيم الشأن ضخم الأمر
	صُنَابَة	أي خيارهم
		المخصص 16/170-173
رجاحة العقل		
	طَبَنَة	عالم بكل شيء
	لَوْدَعِي	جيد الخدس
	الْمَعْيَ	إذا كان ذكياً موقداً مصيب الرأي
		فقه اللغة 164
	نَكِي	

	فطين	
	فهيم	
فطن صادق الحدس المترادف والمتوارد 104/1	زكن	
		الشجاعة
شجاع	صمّة	
شجاع لا يُتَرى كيف يؤتى له	بُهْمَة	
شجاع	واقعة	
المخصص 174/16 - 183		
شديد ضخّم شجاع	مرافصة	
الجريء على الأعداء	ضنّارم ضنّارمة	
	خميس	
	صارم	
	نجيد	
	ذمر	
	بئيس	
	مقدام	
	بطل	
	فتاك	
المترادف والمتوارد 83/1 - 84	مصّدّام	
		الكرم
	كرامة	



الغيداق	الكريم الجواد	فقه اللغة 164
الأريحي	الذي يرتاح للندى	
الخصرم	الكثير العطية	
الأفق	بلغ النهارية في الكرم	
سخي		
سجل		
وهوب		
بذول		
فتاح		
معطاء	المترائف والمتوارد 77/1	
صفات أخرى		
كؤصة	صبور على الشراب وغيره	
رؤمة	طريف مُعجب	
رجل نقولة	جيد القول	
تكلامة	جيد الكلام فصيح	
	المخصص 170/16 - 174	
فكه	طيب النفس ضحوك	
دهنم	إذا كان سهلاً ليناً	
بزيع	إذا كان طريقاً كيساً	
عبقري	إذا كان حائفاً	
زول	إذا كان حركاً طريقاً	
	فقه اللغة 165	

## المصادر والمراجع



## المصادر والمراجع

### بالعربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- أبو ريشة (زليخة): اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمان، 1996م.
- أبو زيد (محمود): اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب. مصر (د. ت)
- أبو زيد (نصر حامد): دوائر الخوف. قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- أبو غزالة (إلهام): الإبداع، اللغة، والمرأة، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ط1، 1998م.
- الأخفش (سعيد بن مسعدة): معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، ط2، 1981م.
- الأصمعي (عبد الملك بن قريب): ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م.
- الأعرجي (نزار): صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1997م.
- الأنباري (أبو البركات): البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1970م.

- ابن الأثيري (أبو بكر محمد بن القاسم): الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
- \_\_\_\_\_: المذكر والمؤنث، تحقيق: طارق الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، 1978م.
- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979م.
- \_\_\_\_\_: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1992م.
- \_\_\_\_\_: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- الباقلائي (محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1954م.
- بشر (كمال): علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997م.
- البطليوسي (ابن السيد): الحلل في إصلاح الخلل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- \_\_\_\_\_: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، تحقيق: حامد عبد المجيد.
- البغدادي (عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م.

- البكري (عبد الله بن عبد العزيز): فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، ودار الفكر، بيروت، ط3، 1983م
- ابن التستري (سعيد بن إبراهيم): المذكر والمؤنت، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983م.
- أبو تمام (حبيب بن أوس): ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، 1964م.
- التوحيدي (أبو حيان): الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- الثعالبي (أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- \_\_\_\_\_: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.
- \_\_\_\_\_: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- الجمحي (محمد بن سلام): طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.
- ابن جني (أبو الفتح): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990م.

- ابن جني (أبو الفتح): سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.
- \_\_\_\_\_: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد أحمد شرف، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1979م.
- الجوهري (إسماعيل بن محمد): الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.
- ابن حزم (علي بن أحمد الأندلسي): رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1985.
- \_\_\_\_\_: طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت.)
- حسان (تعال): مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
- حسن (عباس): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط1976، 6.
- الحفني (عبد المنعم): الموسوعة النفسية والجنسية، مكتبة مندولي، القاهرة، ط1، 1992م.
- أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف): البحر المحيط، نشرته بالأوفست مطبعة النصر الحديثة، الرياض، 1970م.
- خرما (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ع9، الكويت، 1978م.
- خلف الله (محمد أحمد): الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1972م.

- الخولي (محمد علي): معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1981م.
- ابن رشد (أبو محمد بن أحمد): تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.
- الرويني (ميجان)/سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- الزبيدي (أبو بكر): الواضع في علم العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ت).
- الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السناار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
- الزجاج (إبراهيم بن العري): ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة. نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ط1، 1971م.
- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحق): الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت، ط4، 1988م.
- التزمخشري (جار الله محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1974م.
- \_\_\_\_\_: المفصل في علم العربية، راجعه: محمد عز الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م.
- زهير بن أبي سلمى (ديوان): صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1944م.



- زيادة (مي): الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق: سلمي الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982م.
- السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد): المذكر والمؤنت، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ط1، 1997م.
- ابن السراج (أبو بكر): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- السعداوي (نوال): الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- ابن السكيت (يعقوب بن اسحق): كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن سلمة (المفضل): مختصر المذكر والمؤنت، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1972م.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل): المخصص، دار إحياء التراث، بيروت (د. ت.).
- السيوطي (جلال الدين): الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- \_\_\_\_\_: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد جاد المولى وزملاؤه، دار الجيل، بيروت (د. ت.).
- الشوكاني (محمد بن علي): الفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية، تحقيق عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت.).

- الشوك (علي): جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة. دمشق، ط1، 1994م.
- الشيبني (محمد بن علي): تمثال الأمثال، تحقيق أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م.
- الصيمري (عبد الله بن علي): التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي علم الدين، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1982م.
- ابن طباطبا (محمد بن أحمد): عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1991م.
- الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 1984م.
- طرايشي (جورج): رمزية المرأة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1983م.
- عضيمة (محمد عبد الخالق): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د. ت.).
- عفيفي (عبد الفتاح): علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- العلوي (هادي): فصول في المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1996م.

- عميرة، (إسماعيل): ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، مركز الكتاب العلمي، عمان، 1986م.
- عمر (أحمد مختار): اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
- عبد الله الغدّامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999م.
- \_\_\_\_\_: ثقافة الوهم، المركز الثقافي، الرباط، ط1، 1998م.
- \_\_\_\_\_: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1996م.
- الفراء (يحيى بن زياد): المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط1، 1975م.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد (د.ت).
- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): عيون الأخبار، شرحه يوسف طویل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- القرطبي (محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

- القفطي (علي بن يوسف): إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981م.
- ابن كثير (أبو الفداء الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966م.
- لطفی (مصطفى): اللغة في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1976م.
- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله): شرح عمدة الحفاظ وعدة الالفاظ، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب، القاهرة، 1970م.
- \_\_\_\_\_: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة (د. ت).
- مجمع اللغة العربية (القاهرة): في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969م.
- محمود (إبراهيم): الجنس في القرآن، رياض الريس للنشر، لندن، ط2، 1998م.
- المرزوقي (أحمد بن محمد): شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.
- مستغامي (أحلام): ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999م.

- مصكويه، وأبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.
- مصلوح (سعد): دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- ابن مكي (الصقلي): تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.
- منا (يعقوب أوجين): الأصول الجلية في نحو اللغة الأرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، 1975م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت).
- مهنا (عبد): معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد): مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.
- النفزاوي: الروض العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للنشر، لندن، 1990م.
- نهر (هادي): اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، إربد، 1998.
- هرمز (صباح حنا): الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1987م.

- الهندي (ابن حسام الدين): كنز العمال، دار التراث، دمشق، 1976م.
- والفي (علي عبد الواحد): علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.
- \_\_\_\_\_: اللغة في المجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1971م.
- ابن وهب (أبو الحسن إسحق بن إبراهيم): البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967م.
- اليازجي (إبراهيم): نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ضبطه نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1985م.
- ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبّي، القاهرة، (د. ت.).

## الكتب المترجمة:

- آشار (بيار): سوسولوجية اللغة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996م.
- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.
- بريمو (ناتاليا بريمو): معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، 1981م.
- سلدن (رامان): النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، ط1، 1982م.
- سومور (فرديناند): علم اللغة العام، ترجمة يوثيل عزيز، بيت الموصل، ط2، 1988م.
- شوي (أورزولا): أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة بوعلي ياسين، دار التنوير، بيروت، ط1، 1982م.
- غارمادي (جوليت): اللسان الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1990م.
- غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، 1982م.
- فليش (هنري): العربية الفصحى، ترجمة عبد الصبور شاهين، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1966م.

- فتدريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
- فوكو (ميشيل): نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984.
- كامبي: العشق الجنسي والمقدس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1992م.
- كوندرا توف: أصوات وإشارات، ترجمة ادور يوجنا، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، 1969م.
- لوكمان (لويس): علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر باقادر، النادي الأدبي للثقافة، جدة، ط1، 1987م.
- لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1961م.
- مجموعة كتّاب: دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979م.
- مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، ومالك المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- ميلر (سوزانا): سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ع 120، 1987م.



- هـدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م.
- يسبرسن (أوتو): اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة نهضة مصر (د. ت).
- بير (آلن): لغة الجسد، ترجمة سمير شيخاني، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

## الدوريات والمجلات:

- أفاية (محمد نور): المرأة والكتابة، مجلة الوحدة، بيروت، ع9، 1985م.
- التميمي (أمل): المرأة في ظلال الأديان، مجلة تاكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع6، 2001م.
- جبران (مي): الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، بيروت، ع73-74، 1994م.
- الخالد (كورنيليا): الكفاح النسوي حتى الآن، مجلة الطريق، بيروت، ع2، نيسان، 1996م.
- شريدة (صالح مهدي): العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م25، 1974م.
- طعمة (طلال): علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع(7-8)، 1980م.
- قصاب (وليد): الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل -- الرياض، ع97، نيسان، 1985م.
- المنلا (إبراهيم): النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، عمان، ع149، 2001م.
- الموسى (تهاد): نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، ع4، م1، 1985م.

- نور الدين (عصام): المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان،  
مجلة دراسات عربية، بيروت، ع (7-8)، 1988م.
- صحيفة الرأي: عمان، 2001/7/21م

## المراجع بغير العربية:

- **Abd -El - Jawad (Hassan):** Social Functions of Language Variation, Al - Abhath -American University of Beirut, Vol. XXXIV 1986.
- **Adler, (Max):** Sex Differences in Human Speech. Humburg, 1978.
- **Allergro (John):** The Sacred Mushroom and the Cross. Hodder Stoughton, 1970.
- **Bernard (Jessie):** The Female World. New York, 1981.
- **Bloomfeild:** Language. London, 1962.
- **Brekwege (Lia):** Hesitancy in Female and Male Speech, (Women's Language), U.S.A, 1987.
- **Brouwer and Dorian:** Women's Language Socialization and Self-image. Foris Publications. U.S.A, 1987.
- **Cameron (Deborah):** Feminist and Linguistic Theory, London, Macmillan, 1985.
- **\_\_\_\_\_ (ed):** The Feminist Critique of Language. London, 1998.
- **Coates (Jennifer):** Women, Men and Language. London, 1986.
- **Dumézil:** Grammaire Comparee. Paris, 1960.

- **Fishman:** The Sociology of Language. New Bury House, 1972.
- **Gesenius:** Hebrew Grammar. Translated by, A.E.Cowely). Oxford University, 1910.
- **Gray (Louis):** An Introduction to Semitic Comparative Linguistics. Amsterdam, Philo Press, 1971.
- **Lrigray (Luci):** Language Sexes and Gender (Women's Language), 1987.
- **Miller (Gasey):** Words and Women, Anchor Press, New York, 1977.
- **Mills (Jan):** Woman Words (A vocabulary of culture and patriarchal society). London, Virage Press, 1991.
- **Moscatti:** An Introduction to the Comparative Grammar of Semitic Language. Weisbaden, 1964.
- **Pride (J.B):** Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching. Oxford University Press, 1979.
- **Rosald: (Michell, Zim-ballst):** Woman, Culture and Society. Standford University Press, 1974.
- **Safilios (Roths (ed):** Sociology of Women. U.S.A, 1972.
- **Sepeiser (E.A):** Studies in Semitic Formative. London, 1970.

- **Shehadeh (Ali):** Gender Differences and Second Language Acquisition Research, Journal of Aleppo University, vol, 25, 1994.
- **Shibamoto (J.):** Japanese Women's Language. London, 1985.
- **Showlter (Elaine):** Toward – Feminist Poetics, 1981.
- **Smith (Philip):** Language, The Sexes and Society Basil, Black Well, 1984.
- **Spender (Dale):** Man Made Language, London, 1980.
- **Susan and Ruth King:** Gender – Based Language (The Feminist) U.S.A, 1998.
- **Thorne, Henley:** Language and Sex Differences and Dominance (Women's Language), 1987.
- **Wardhaugh (Ronald):** An Introduction to Sociolinguistics, Black well, Oxford, 1992.
- **W.Wright:** Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Language. Cambridge, 1890.
- \_\_\_\_\_: The Grammar of the Arabic Language. Cambridge University Press, 1896.